

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٩٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٢
فاكس : ٩٨٢٧٠٠٢

- ١ -

أعادت (نجلاء) التأكد من إغلاق الأبواب والنوافذ للمرة الخامسة ، برغم أنها متأكدة من إحكام إغلاقها ، ولكنها حالة سيطرت عليها منذ غادرها (فريد) .. شعرت بأن الأمن غادرها معه .. لم تكن تدرى ما بالها .. لم تكن تعرف أن غياب (فريد) سيؤثر فيها كل هذا التأثير برغم أنها كانت تتمنى أن يذهب فى إجازة إلى أى مكان ..

★ ★ ★

كانت تعلم أن (فريد) ليس مفتول العضلات .. ولم تكن هى من النوع الذى يخاف من الوحدة ، أو يعتمد على الآخرين .. إذن ماذا دهانى ؟ هكذا تساءلت (نجلاء) فى نفسها ..

سافر (فريد) فى عمل لمدة شهر .. وكانت متأكدة أنه هو من طلب المأمورية بنفسه ، لتكون إجازة زوجية له ولها .. فقد أصبحا شديدى التوتر فى الفترة الأخيرة .. ولا ينتهى الشجار بينهما إلا ليبدأ من جديد ..

كانت تعترف أنها هى من تثير الشجار .. قالت فى نفسها : « لكنه هو السبب » .. دائمًا ما تعلّل عصبيتها وشجارها مع (فريد) بذلك ، ولكن .. هل هذه هى الحقيقة ؟؟ ربما لا .

★ ★ ★

رجعت بذاكرتها للوراء تسترجع ذكرياتها مع (فريد) .. تذكرت بداية تعارفهما .

كان (فريد) زميلها فى العمل ، وكانت كل معرفتها به فى حدود الزمالة .. مجرد زميل ، متعاون ومهذب . لا يتكلم مع أى زميلة إلا ونظره موجه إلى الأرض .. كان مكتبه بجوار مكتبها ، وبرغم ذلك لم يدر بينهما أى حوار شخصى .. دائمًا كان حوارهما فى حدود العمل ، وبكلمات مقتضبة ، ومع ذلك كانت تكن له كل الاحترام ..

ذات يوم فوجئت بأبيها يسألها :

- أليس لك زميل يدعى (فريد) ؟

أجابته وهى تستغرب سؤاله :

- بلى

- أعتقد أنك حدثتنى عنه من قبل .

- ربما جاء اسمه فى أحاديثى .. لماذا تسأل يا بابا ؟

لم تستطع كتم فضولها .. لكن أباها أجابها وكأنه لا يهتم بالموضوع :

- أبدًا .. لقد قابلته مصادفة فى عملى .. شاب ممتاز .

- فعلاً .

انتهت المحادثة دون أن تشعر بأى شىء فى حديث أبيها ، ولم يخطر على بالها أن يكون (فريد) قد طلب الزواج منها .. إلا أنها فوجئت بعد هذا الحديث بيومين بأختها (زهراء) تقول لها :

- كم تعطينى لو أخبرتك بسر خطير ؟

أجابتها (نجلاء) ضاحكة من أسلوبها فى الكلام :

- هل هو سر مهمّ ؟

- جدًا

- خاص بى ؟

ـ طبعًا .

ـ عن أى شىء بالضبط .

ـ تريدين أن تعرفى مجانًا ؟ أعرف أنك بخيلة ، ولن أحصل منك على شىء ، لكن سأقول لكِ وأمرى إلى الله .. هناك عريس قد تقدم لبابا .

ـ لى أنا .

ـ لا ، بل لى .. أجابتها (زهراء) بذلك ضاحكة ، ثم أكملت وهى تستغرب دهشة أختها :

ـ طبعًا لكِ ، وهل لدينا سوى عروس واحدة .. هى أنتِ ؟!

سألتها (نجلاء) :

ـ ولماذا لم يخبرنى بابا .. ومن العريس ؟ هل نعرفه أم لا ؟ وحتى ماما لم تخبرنى ..

قاطعتها (زهراء) :

ـ مهلاً .. واحدة .. واحدة علىّ .. أولاً هذه الأخبار ما تزال طازجة .. عرفتها من الكنترول ، ثم أهم شىء أنك تعرفين العريس .

ـ حقًا ؟ من هو ؟

سألتها (نجلاء) متلهفة :

ـ خمّنى

ـ لا أعرف .. وماذا بعد معك !

أجابتها (زهراء) وهى تتعمد أن تغيظها :

ـ أسألى ماما وأنت تعرفين :

ثم خرجت وتركتها ، وقبل أن تذهب لوالدتها لتسألها أقبلت هى عليها وأخبرتها أن زميلها فى العمل جاء وطلب يدها وأن اسمه (فريد) .

ـ من ؟ تساءلت (نجلاء) دهشة : (فريد) ؟! غريبة !!

ـ وما الغريب فى ذلك .

وانطلقت الكلمات من فمها مندفعة :

ـ الغريب أنه لم يفاتحنى فى الموضوع . ويأخذ رأيى قبل أن يكلم بابا .. كما أنى لم أشعر أبدًا بأنه معجب بى .

وقاطعتها والدتها :

ـ بالتأكيد هو معجب بك ، وإلا لما تقدم ، وعلى أى حال بابا لم يوافق بعد . ثم إنه سيسألك ، وعلى أى حال لو أن عندك اعتراض عليه فبابا لن يوافق .

وفوجئت (نجلاء) بنفسها ترد بتلقائية

ـ لا أبدًا .

ابتسمت والدتها لما قالته .. فاحمرّ وجه (نجلاء) خجلاً .. وسرحت مع نفسها .. إن (فريد) شاب ممتاز من كل الوجوه ، واختياره لها يعد إطراء .. فلم يختر أية زميلة أخرى من المكتب ، برغم أن هناك زميلات لها يفقنها جمالاً وأناقة .

وهو زميلها منذ ثلاث سنوات ، ولم تلحظ عليه أى سلوك سيئ .. إلا أن فيه عيبًا واحدًا ؟ هو أنه خجول ، ولكن هل يعد هذا عيبًا ؟!

لم يكن (فريد) أول من تقدم لها ، ولكن (فريد) مناسب لها من كل الوجوه .. (فريد) مؤهلة مناسب ، وكذلك وظيفته ، فهو مناسب من كل الوجوه إلا فى شىء واحد ، وهو أنه لم يتحدث معها فى أى شىء .

دخلت (زهراء) الحجرة دون أن تشعر بها (نجلاء) .

ـ مالك يا (نجلاء) ؟

ـ لا شىء .

ـ أنت غير موافقة على العريس أم ماذا ؟

ـ أى عريس ؟

ـ يا سلام .. أى عريس !! وكم عريسًا لدينا ؟! (فريد) طبعًا .

ـ ما زلت صغيرة على هذا الكلام .

ـ أنا أريد أن أعرف رأيك فقط .

ـ لا أعرف .

ـ آه . هكذا .. لا تريدين إخبارى . على أى حال أنا أعرف أنك موافقة طبعًا . لأن (فريد) إنسان ممتاز وأى فتاة تتمناه .

ماذا .. وماذا تعرفين عنه أنت ؟

ـ أعرف الكثير ؛ لأنك لا تكفين عن الحديث عنه طوال ثلاث سنوات ..

ردت (نجلاء) مستنكرة :

ـ أنا ؟!

ـ نعم .. (فريد) فعل كذا .. (فريد) قال .. (فريد) كان المقرر اليومى من يوم أن بدأت العمل .

ـ أنا .. أنا أتحدث عنه أنا ؟!

ـ لا تغضبى هكذا . لقد كنت تتحدثين عن كل زميلاتك وزملائك ، ولكن (فريد) .. كنت تتحدثين عنه باهتمام أكثر .. أو ربما خيّل لى ذلك فلا تغضبى .

واستغربت (نجلاء) من نفسها .. هل كانت تتحدث عنه بكل هذه الحماسة .. دون أن تدرى ؟ هل كان يشغل تفكيرها دون أن تشعر ؟

وجاء (فريد) إلى المنزل وتمت الخطبة فى أيام مرت كالحلم ، ولم تشعر نجلاء إلا وحب (فريد) يتسلل بداخلها . لقد شعرت بأنه كلما اقتربت منه أكثر كلما شعرت بأنه إنسان رائع . فهو رومانسى .. رقيق المشاعر ، يخشى عليها من كل شىء .

حتى الشقة رفض أن تسهم فى تجهيزها وأصر على أن يفعل كل شىء بنفسه .

كان يأتى إليها نهاية كل أسبوع مرهقًا ، ويتأسف لها عن عدم قدرته على الخروج معها مثل أى خطيبين . كانت أحيانًا تشعر بالضيق ، ولكن دائمًا ما كانت تجد من يدافع عنه من أفراد أسرتها ، ويصفونه بالطيبة وأنه يبذل كل الجهد من أجلها .

كان (فريد) يخرج من العمل إلى الشقة يوميًا ، واستطاع أن يختصر فترة الخطبة لعام واحد ، وجاء (فريد) فرحًا ليزف خبر انتهائه من تجهيز الشقة ، وأن علينا أن نحدد ميعاد الزواج ، وبرغم أن الشقة كانت فى أطراف المدينة ، وبعيدة عن عملنا إلى حد ما ، وكان ينقصها الكثير من الكماليات ، بل وينقصها بعض قطع الأثاث ، إلا أنها فى نظرى كانت كالجنة . كانت ظروف (فريد) لا تسمح إلا بحفل عائلى بسيط ، ولم تعترض الأسرة برغم أنى كنت أحلم دائمًا بحفل زفاف ضخم فى أحد الفنادق الفخمة ، إلا أننى احترمت رغبة (فريد) فى الاعتماد على نفسه ورفضه لمساعدة والده له .

كنت أكاد أطير من الفرحة ، أريد أن أرتدى ثوب العرس ولا تهمنى أى شكليات أخرى .. هكذا أصبح الفرح بالنسبة لى شكليات .. المهم (فريد) .

وتزوجنا .. ومرّ شهر العسل سريعًا ، لم نشعر به من فرط سعادتنا .

متى حدث أول جدال بيننا ؟ هكذا تساءلت (نجلاء) فى نفسها .. أول موقف تتعرض له فى زواجها .

كان أمرًا بسيطًا لكنه أشعرها بمسئولية الزواج الحقيقية ..

* * *



\- ٢ -

فى أحد الأيام طلبت صاحبة العمارة (فريد) .. وعندما عاد سألته :

\- لماذا كانت تريدك ؟

\- كانت تريد مبلغًا مساهمة فى تشطيب واجهة العمارة .

\- لكن هذا لم يذكر فى العقد .

\- لا يهم .. إن هذا لفائدتنا جميعًا .

\- لكنه التزام عليها ، ويجب أن تقوم هى به .

\- وماذا لو ساعدناها ؟ إنها تطلب بذوق .

\- وهل وافق جميع السكان على ذلك ؟

\- لا أعرف .. أظن أنى أول من تسأله .. فى الحقيقة لم أسألها .. لماذا تشغلى بالك ؟

\- إننا لا نحتمل دفع هذا المبلغ .. وغدًا تطلب مبلغًا غيره وغيره .

- الموضوع لا يستحق كل هذا .. وليس معنى أنها طلبت مرة أنها ستطلب المزيد .

- كما تريد يا (فريد) إنها نقودك على أى حال .

- لا يا حبيبتى إنها نقودنا معًا ، ولا أريد منك أن تغضبى .

أجابته وهى تتجه للمطبخ :

- لن أغضب .. أنت الذى سيغضب لأنك ستأكل باقى الشهر عدسًا .

تبعها قائلاً :

- مادام معك سيكون أشهى من اللحم ، يكفى أنتِ التى ستطهينه .

ابتسمت وهى تقول :

- دائمًا ما تغلبنى بكلامك الحلو يا (فريد) .

جهزت الغذاء وجلسا ليأكلا .. وقد نسيا هذا النقاش ..

فى نهاية كل أسبوع كان (فريد) يصمم على زيارة

الأسرتين : أسرتها وأسرته .. ودائمًا يبدأ بزيارة أسرتها .. ربما مجاملة لها ، أو ليسعدها ، بينما كانت تخصص يوم الجمعة لتنظيف البيت ولتحضير طعام الأسبوع ، وكان (فريد) دائمًا يساعدها .

وعند ذهابهما لأسرتها كانت (زهراء) تطلب دائمًا من (فريد) أن يساعدها فى المذاكرة ، وترفض مساعدة (نجلاء) بحجة أنها قليلة الصبر ، وأن (فريد) عنده صبر .. كان فريد لا يرفض طلبًا لأى أحد .. فأحيانًا كان والدها يطلب منه أن يشاركه فى لعب الطاولة ، وتطلب منه والدتها تصليح أى شىء فى البيت .. لم يكن يمل من تكرار طلبات أفراد الأسرة ، بل يلبى كل طلب على الفور .

كانت (نجلاء) سعيدة بذلك ، تشعر بأن اهتمام أسرتها (بفريد) إنما هو تكريم لها .. وبرغم أنها كانت لا تتلاءم تمامًا مع أسرة زوجها ، إلا أنها كانت تحاول أن تتوافق معهم من أجل خاطره ..

بدأت المشكلات الحقيقية بين (نجلاء) و(فريد) من أجلِ الإنجاب ، برغم أن (فريد) لم يكن يلح فى ذلك ،

إلا أن أسرته كانت دائمًا ما تلقى ببعض التلميحات التى كانت (نجلاء) تصفها بأنها حجارة وليست تلميحات ، وتبدأ دائمًا بأخته تقول :

ـ نريد أن نفرح بأولادكم .

وجهت كلامها لـ (فريد) .. لكن (نجلاء) كانت تعرف أنها المقصودة بالكلام ، فردت عليها :

ـ ما زال أمامنا وقت ، إننا غير متعجلين .

وجهت أخته الكلام مباشرة لـ (نجلاء) :

ـ ألم تذهبى للطبيب بعد .

ـ لماذا ؟

ـ لتطمئنى .

ـ أنا مطمئنة والحمد لله .

أجابتها (سلوى) بابتسامة صفراء :

ـ زيادة تأكيد .

ردت عليها (نجلاء) بنفس الأسلوب :

ـ إن شاء الله .

كان (فريد) منشغلاً بالحديث مع أبيه فى هذا الوقت .. وصمموا على أن يسهروا معهم ، ألحَو على (فريد) فلم يرفض .

ـ (فريد) ألم تعدنى ألا نسهر ؟

ـ آسف لم أستطع رد طلبهم .

ـ ولماذا تتكلم أختك بهذه الطريقة .

ـ أى طريقة .

ـ فى سؤالها عن الإنجاب .

ـ إنها لا تقصد شيئًا ، فقط تريد أن تفرح :

ـ ولكنها ..

قاطعها (فريد) : لا تهتمى بهذا الكلام .. ودعينا ندخل لنستريح ، فأمامنا الكثير فى الصباح ..

تجاهل (فريد) هذا الموضوع ، لكنه ظل يدور فى رأسها هى وصممت على أن تذهب للطبيب فى اليوم التالى مباشرة .. ولم لا ؟ سأذهب لأطمئن كما قالت أخته ..

أراد (فريد) أن يذهب معها .. لكنها لم توافق وذهبت وحدها .. وعادت بسرعة لتخبر (فريد) .. قالت لها الطبيبة إنه لا شىء فى أن يتأخر الحمل لمدة سنتين وأنه شىء طبيعى .. لم يبدُ عليه أن الأمر يشغله بالقدر الكافى ، مما أزعجها بشدة ..

فقالت له غاضبة :

ـ ألن تذهب أنت أيضًا للطبيب ؟

نظر إليها مبتسمًا من غضبها وقال :

ـ لماذا ؟

أجابته بحدة :

ـ لتطمئن كما تقول أختك .

ـ إننا غير متعجلين ، كما أنك تقولين إن الطبيبة طمأنتك .

ـ نعم ، لكن هذا لا يمنع من أن تذهب للكشف .

ـ إذا كان هذا سيريحك أذهب .

هل هذا ما كانت تريده حقًا .. ما ذنب (فريد) فى أن (سلوى) أزعجتها بالسؤال ـ والدتها ذاتها قد سألتها ..

لكن طريقة السؤال هى ما أزعجها .. (فريد) لم يلحظ الطريقة التى تكلمت بها أخته .. لم تعد طلبها فى أن يذهب للطبيب ، لكنه وحده بعد عدة أيام أخبرها أنه سيذهب للطبيب .. مما أشعرها بالذنب .. عاد يخبرها بأن الأمر يتطلب تحاليل ، وأنه سيذهب لإجرائها غدًا .. استغرق الأمر يومين آخرين قبل أن يعرف النتيجة ، هل كانت قلقة على النتيجة ؟ لم تعرف .. إن أمر الإنجاب لم يكن يشغل هذا الحيز من تفكيرها ، فما زالا فى أول حياتهما الزوجية .. نعم بدءوها دون أقساط أو ديون ، لكن هذا لا يمنع من أن الأطفال يحتاجون لكثير من المال والوقت والجهد ..

هل كان الأمر مجرد عناد مع أخته ؟ لا .. ولكن الحقيقة : لم لا يطمئنون ..

عاد (فريد) من عند الطبيب والانكسار يبدو عليه .. يحتاج لعلاج ووقت ليصبح قادرًا على الإنجاب .. غضبت من نفسها وأحست بالألم ، لماذا يشعر بالانكسار ؟

إنه مجرد عارض وسيزول .. مرضٌ كأى مرض .. ابتسمت له وهونت عليه .. إنهما ليسا فى عجلة من

أمرهما على أى حـال .. كما أن الشفاء من عند اللهَ ..
حمدًا للهَ على أنهمـا اكتشفا الأمـر مبكـرًا .. ومـا دام
هناك علاج فلا شىء فى الأمر .. لم تتركه حتى ابتسم
ونفض الأمر عن كتفيـه .. كـانت سعيدة لأنهـا خففت
الأمر عليه .. كانت واثقة بأنه لم يكن ليفعل أقل من
ذلك لها لو أنها كانت مكانه ..

عند عودتهمـا مـن العمـل فـى اليوم التـالى تذكرت
أمرًا أرادت أن تكلمـه فيـه منذ زمـن طويـل .. لكنهـا
كانت تنسى كل مرة ..

ـ (فريد) ألا تلاحظ أنهم يعطونك جـزءًا أكبر مـن
العمل ؟

لم يكن منتبهًا تمامًا فقد كان مشغولاً بالقراءة .

ـ ماذا ! لا أفهم .

ـ أعرف أنك أقدم منى أنا و (سامية) و (فـؤاد) ،
لكن هذا لا يعنى أن تعمل أكثر ..

ـ يا حبيبتى إنه عمـل صعب وقد لا يعرف شـخص
غيرى كيف يؤديه على أكمل وجه ، كمـا أنـى اعتـدت
على أدائه منذ زمن .

قالت له وصوتها يوضح عدم اقتناعها :

ـ لكن يا (فـريد) .. مـن الممكن أن يتعلم شـخص
آخر كى يساعدك .

ـ الأستاذ (سمير) وعدنى بأنه سينقل شخصًا مـن
إدارة أخرى ليتحمل جزءًا من العمل .

ـ لكن يا (فريد) هذا الوعد كان منذ زمن طويل .

ـ أنت تعرفين أن هذه الأمور تأخذ وقتًا .

ـ لكنك تتعب ولا يعود عليك شىء من الأمر .

ـ كيف ؟ ألا آخـذ مرتبى مقـابل عملـى ؟ كمـا أنـى
لا أتعب من العمل أبدًا .

ـ لكن الزيادة التى تأخذها مع مرتبك لا تتناسب مع
العمل الأكثر الذى تؤديه .

ـ لا تشغلى بالك بهذا الأمر يا (نجلاء) .

ـ أنا فقط لا أريد أن تتعب دون طائل .

ـ لا تقلقى علـىّ .. يـا (نوجـة) لا تشـغلى بـالك ،
دعكِ من هذا الأمر ودعينا نتكلم فى أمر آخر .

غير الحديث لكنها لم تقتنع .. سكتت .. هو صاحب الشأن وهو أدرى بمصلحته .. لكن هل حقًا لا يعنيها أن يتنازل عن حقه ؟ شغل الأمر تفكيرها لفترة ، ثم توارى مع الوقت .. كان مرض (فريد) واحتياجه للعناية يشغل الجزء الأكبر من وقتهما معًا .. وبالطبع لم يخبرا أحدًا .. إنها أمور خاصة بهما وحدهما ..

لم تخبر حتى والدتها أو أختها .. لكن ما أزعجها حقًا هو أخته التى كانت ترمى بالكلام بطريقة لم تعجبها أبدًا .. لذلك لم تكن تحب أن تذهب لتزورهم مما أحزن (فريد) كثيرًا لأنه يحب أباه وأخته بشدة .. أصبحت تتعلل كل مرة بعذر حتى لا تسمع الكلام الجارح ، وهى لا تستطيع الرد بصورة تعيد لها حقها .. كما أن (فريد) لم يدافع عنها .. لا تدرى لماذا .. آخر مرة ألحَ عليها فى الذهاب بشدة ، وقال لها إن أباه يريد أن يراها ، وإنه يعتقد أنها لا تريد زيارته .. ذهبت رغمًا عنها .. ما إن دخلت حتى قال لها حموها :

ـ ياه وجهك ولا وجه القمر .. شهر بأكمله لا نراك ؟

ابتسمت له ، كان إنسانًا طيبًا وحنونًا مثل (فريد) بالضبط .

ـ أبدًا ياعمى كنت متعبة قليلاً .

جاءت (سلوى) لتسلم عليها وهى تقول :

ـ سلامتك يا (نجلاء) .. خير إن شاء اللّه ، هل هناك أخبار سعيدة ؟

أجابت (نجلاء) فى ضجر .

ـ لا .. ليس بعد ، أنا و (فريد) نريد الاستمتاع بحياتنا قليلاً .

لم يعجب (سلوى) الكلام فردت عليها بحدة :

ـ ألن يكون الوقت متأخرًا قليلاً عليك يا (نجلاء) .. يقال إن الحمل فى سن الثلاثين خطر .

ـ ماذا .. ما زال أمامى الكثير على الثلاثين .

أخيرًا تنبه والد (فريد) لاحتدام الجو بينى وبين (سلوى) فقال متدخلاً فى الحوار :

ـ (نجلاء) .. لقد أعددت لك خصيصًا مربى المشمش التى تحبينها ، ألا تريدين تذوق صنع عمك ..

ثم قال موجهًا حديثه لـ (سلوى) :

ـ اذهبى وأحضرى برطمانًا لزوجة أخيك لتتذوقه .

مرت الزيارة بسلام بعد ذلك .. وضعت (نجلاء) برطمان المربى الذى صمم حموها على إعطائها إياه على المنضدة فى حجرة السفرة بعصبية ، ما إن دخلت لمنزلها واستدارت لـ (فريد)

ـ هل أعجبك ما قالته أختك ؟

ـ لماذا تهتمين بما تقوله ؟ لها تردى عليها .

ـ ماذا ؟ ألا يكفى أنك لا ترد عليها ؟ تريد منى أنا أيضًا أن أسكت عن إهاناتها .. ألا يكفى أنك لا تنصفنى ؟

ـ يا (نجلاء) .. لايمكن أن تستمرا هكذا فى مشاحنات طوال الوقت .

ـ هى من تبدأ .. ألا تسمع أسلوبها فى الحديث ؟

ـ أنا آسف يا حبيبتى .. من أجلى أنا لا تعيريها أذنًا صاغية .

ـ أنا لا أريد منك أن تأسف لى .. أنا أعرف أنه ليس ذنبك ، لكنى لا أتحمل طريقتها فى الحديث إنها تستفزنى .

ـ لكنك تعلمين كم يحبك أبى .

ـ أعلم ، وأنا أيضًا أحبه .. لذلك لن أذهب لزيارتهم مرة أخرى .. اذهب وحدك يا (فريد) ولا تضغط علىَّ .. لأنى فى المرة القادمة .. سأنفجر ، وقد لا أستطيع التحكم فى كلماتى .

ـ ماذا تقصدين يا (نجلاء) .

ـ لا شىء ، فقط لا تجعلنى أذهب لزيارتهم على الأقل ليس فى الوقت الحالى .. أرجوك يا (فريد) ..

أجابها مستسلمًا

ـ كما تريدين يا (نجلاء) .. لن أجبرك على شىء .

* * *

- ٣ -

أصبح (فريد) منطويًا على نفسه هذه الأيام .. لذلك كانت تحاول دفعه ليزور أباه وأخاه وأسرتها .. أو يخرجا هما معًا للتنزه فى أى مكان هادئ ، لم يعد هناك مجال للتوتر ، خاصة وأن العوامل النفسية أهم ما فى العلاج فى هذه المرحلة .. كان (فريد) يغدق علىّ فى الحب والحنان .. لكن .. شيئًا ما كان ينقصه ، وقد أحزنه هذا كثيرًا .. تقدمت حالة (فريد) سريعًا مما أسعدنى وأسعده بالتأكيد - فى آخر مرة زرنا الطبيب معًا .. قال لنا إن ما نحتاج إليه الآن هو الصبر .. كثير من الصبر والأمل .. وبإذن الله سيحدث الحمل قريبًا .. وبينما أسعدتنى كلمات الطبيب ، لم يكن رد فعلها لدى (فريد) بنفس القوة .. لا أدرى لماذا .. أصبحت شهيته للطعام ضعيفة .. كان من المهم أن يهتم بالتغذية كإحدى خطوات العلاج كى لا ينتكس .. كان لا بد أن أكلمه .

- ماذا هناك يا (فريد) ؟ ماذا بك ؟

- لا شىء .

- لكنك لم تعد تضحك أو تتكلم أو تأكل .

- أبدًا .. إن الأمر يخيل لك فقط .

- كيف يا (فريد) لو كنت سأكذّب عينى فكيف أكذب إحساسى ؟

لم يرد (فريد) ولم تعرف هى أيضًا ماذا تقول أكثر مما قالته .. أحست بـ (فريد) يبتعد عنها قليلاً .. قليلاً .. ترى ماذا تفعل .. كان أسوأ جزء فى الأمر أنه لا يريد الاعتراف بذلك .. كان مصرًا على أنه لا شىء فى الأمر ..

فوجئت بـ (فريد) لا يريد العودة معى فى أحد الأيام .. طلب منى أن أسبقه .. ماذا دهاه ؟ لأول مرة لا نعود من العمل معًا ، قال إنه لن يتأخر .. وعندما عاد كنت غاضبة .. أردت أن أسأله ما الأمر ، وما سبب غرابة تصرفاته ، لكنى لم أتكلم .

فى المساء دق جرس الباب .. تُرى من يأتينا فى هذا الوقت ؟ ذهب (فريد) وعاد فسألته :

ـ من يا (فريد) ؟

ـ البواب .

ـ ماذا يريد ؟

ـ لا شىء ..

لا شىء لا شىء .. أكملت شغل الإبرة الذى فى يدى .. وأقسمت فى نفسى ألا أسأله عن شىء بعد ذلك .. جاء (فريد) مبتسمًا .. وجلس فى مواجهتى ونظر لى ـ وهو يضع يده على خده ـ دون أن يتكلم .. لم أطق الاستمرار فى التظاهر بأنى لا ألحظ ذلك .. رفعت رأسى مبتسمة .. رغمًا عنى ..

ـ وماذا بعد ؟

ـ جميل أنك ابتسمتِ وحدك ..

ـ ماذا تريد يا (فريد) .

ـ أغمضى عينيكِ وتعالىْ ..

أمسك يدها لتقوم معه .

ـ لماذا ؟

ـ تعالى فقط .

جذبت يدها من يده لكنه لم يتركها .

ـ لا لن آتى حتى تخبرنى .

ترك يدها .

ـ كما تريدين .. وأنا لن أخبرك حتى تأتى .

ـ (فريد) !!

ـ هل ستأتين أم لا ؟

مد يده إليها

ـ حسن سآتى .. غلبتنى .

ـ لا بل غلبك الفضول .

لم أصدق .. أحضر تلفزيونًا

ـ (فريد) من أين أتيت به ؟

ـ اشتريته .

- أنت تعرف ماذا أعنى يا (فريد) .. من أين أتيت بثمنه ؟

- ادخرته .. ألم تكونى تتهميننى بالإسراف .

- لا أصدق .. ولكن ..

أضافت فى تردد .. فأجابها مندهشًا

- ولكن ماذا ؟

- ألم يكن من الأفضل الاحتفاظ بالنقود .

- لقد أمضينا مدة طويلة بلا تلفزيون .. سنة بأكملها يا نوجة .

سنة .. يا إلهى .. اليوم عيد زواجنا .. كيف نسيت . تذكره (فريد) ونسيته .. لم أحضر له شيئًا .. أخرج (فريد) زجاجة عطر ووردة بلدية قطيفية جميلة ..

لم أعرف ماذا أقول ..

- أنا ..

أجابها (فريد) مبتسمًا .

- ماذا ؟

- آسفة يا (فريد) .

تعجب بشدة .. لم يعرف ماذا تعنى .. أكملت :

- لم أحضر لك هدية .

- لكنك أحضرت لى هدية بالفعل .

نظرت له مندهشة وقالت :

- أية هدية ؟

- أنت يا (نجلاء) أحلى هدية حصلت عليها .. يكفينى ابتسامتك التى تملأ وجهك .. تلك الابتسامة التى حرمتنى منها طويلاً .

خجلت من نفسى .. هل حقًا كنت جافة ومكتئبة فى الفترة السابقة .. فكر (فريد) فىّ وأعدّ المفاجأة وأحضر لى هدية .. كل هذا وأنا غارقة فى الغضب منه .. يبدو أنى كثيرًا ما أسىء فهمه .. إن علىّ أن أعوّضه عن سوء الفهم هذا ..

ترى ماذا أفعل ؟ كنت أعرف أنه منزعج جدًا لطول المدة التى لم أزر فيها بيت أبيه .. كنت أعرف كم يحب أباه ، وكم يحب أخته ، هى الصغيرة والحمد لله .. خاصة وأن والدتها توفيت وهى ما تزال طفلة .. كانت أختهم الوحيدة .. لذلك وافقت على الذهاب لزيارتهم .. سعدت بابتسامة (فريد) الواسعة الجميلة التى اشتقت لها أنا الأخرى .

لأول مرة لا تلمح (سلوى) بكلام عن الإنجاب أو عن عدم زيارتى لهم .. تحسد على ذلك ، يبدو أن عمى عنفها هذه المرة .. أو ربما .. أحست وحدها بالندم على مثل هذا الكلام الذى تلقيه جزافًا .

لم أصدق أن سنة بأكملها مرت علينا أنا و(فريد) .. بهذه السرعة .. هكذا قلت لعمى وهو يهنئنى بعيد زواجى .. كانت صحة عمى لا تبدو على ما يرام .. لاحظت نظرات (فريد) القلقة وهو يراقب أباه .

ألححت على (فريد) أن يحاول بيع شقتنا وشراء شقة أقرب إلى العمل .. كانت الشركة التى نعمل فيها هى ذاتها بعيدة بما فيه الكفاية .. فوجئت بـ (فريد)

يخبرنى أنه وجد شقة بسعر جيد فى مكان قريب .. ووجد مشتريًا لشقتنا .. أسعدنى هذا الخبر كثيرًا وإن كان لم يسعد (فريد) بذات القدر .. كان يحب شقتنا لأنه أنجز كل شىء فيها بيديه .. ولأنها شهدت أيام زواجنا الأولى .. ومع ذلك استجاب لرغبتى .. دفعنا فرقًا بسيطًا وحصلنا على شقة أوسع وأجمل ..

- (فريد) .. من دَلَك على هذه الشقة ؟

- أخى (زهير) .

- سعرها مرتفع قليلاً .. حمدًا لله على أن قيمة شقتنا زادت بهذه الدرجة .. لولا جشع صاحبة البيت لما اضطررنا لدفع أى فرق .

- لم تكن جشعة .. ولم نكن مضطرين لدفع شىء لها .. لكنه مجرد مبلغ بسيط ليكون كل شىء بالتراضى .

- لا يا (فريد) .. هذه السيدة كانت تحاول استغلالنا .

- (نجلاء) أرجوكِ لا تفسدى فرحتنا بالشقة الجديدة .

ـ حسن لكن يجب أن نقوم بعمل حفلة ، وندعوا ماما وبابا و (زهرة) .. وأخاك (زهير) وزوجته وأولاده ، وقبل كل هؤلاء والدك ..

سكتَ قليلاً ثم أكملت بقليل من التهكم :

ـ وأكيد (سلوى) ..

لم تعطه فرصة للرد وأكملت :

ـ أريد فستانًا جديدًا بهذه المناسبة على ذوقك أنت يا (فريد) .

* * *

أحضر (فريد) فستانًا جميلاً جدًا بهذه المناسبة ..

ـ يبدو باهظ الثمن يا (فريد) .

ـ ألا يُعجبك ذوقى .

ـ لكنه ذوق غالٍ جدًا يا (فريد) .

ـ ليس أغلى منك ..

ـ أظن أن هذه آخر نقود نملكها .. ثمن السخان وقطعتى الأثاث اللتين اشتريناهما وباقى ثمن الشقة ..

ومصاريف الحفلة .. يبدو أنى أنا المسرفة يا (فريد) وليس أنت .

ـ لا تهتمى إن النقود وجدت فقط لِننفقها .

ـ لا يا (فريد) آخر مرة نسرِف بهذه الطريقة .. اتفقنا ؟

ـ أوامرك يا وزير ماليتى .

ـ نعم هكذا يكون الكلام .

* * *

كان الأستاذ (سمير) قد أتى بموظف جديد ليساعد (فريد) .. مما خفف عنه قليلا من العبء .. ولكن تأخرت ترقية (فريد) كالعادة .. أعطوه زيادة فى المرتب وحسب .. كان (فريد) سعيدًا بالزيادة .. لكنى تضايقت لأن الترقية من حقه لا جدال .. نعم إن المال سيفيدنا ، لكنها مسألة مبدأ .. تشاجرنا أنا و (فريد) وخاصمنى لأول مرة منذ تزوجنا .. كنت أريد أن يأخذ حقه وحسب .. ماما خطَأتنى وطلبت منى أن أصالحه .

- إن زوجك طيب يا ابنتى .

- هل معنى ذلك أن يترك حقه ؟

- هو لا يرى ذلك .

- فى هذا الزمن لا يصلح ذلك .

- لماذا يا ابنتى ؟

- إن كلمة طيب الآن سبة ألا ترين كم أخذت منا صاحبة العمارة ؟ أو كم يعمل أكثر من كل من فى المكتب ؟ وفى النهاية لا تتم ترقيته .. هل هذا عدل ؟! فى العمل يقولون ، إن زوجك طيب ، وأنت أيضًا تقولين إنه طيب .. إذن الطيبة عيب يا أمى .

- (نجلاء) لا تقولى هذا مرة ثانية أبدًا .. اذهبى وصالحى زوجك ..

عدت إلى المنزل ، أدرت له أغنيته المفضلة ، وأعددت له الطعام الذى يحبه ، (فريد) طيب ، هكذا قالت فى عقلها .. خرج من الحجرة وصالحها هو ..

- (نجلاء) يا حبيبتى لِم لا نترك الأشياء تأتى فى وقتها ؟

- كما تريد يا (فريد) أنا إنما أتكلم لأجلك أنت .. وما دامت هذه رغبتك فليكن

* * *

مرض والد (فريد) بشدة .. وزاد توتر (فريد) .. وقرّر والده أن يسرع بتزويج (سلوى) .. لم يكن الوقت مناسبًا ، لكن والده أصرّ .. قال إنه يريد الاطمئنان عليها .. أطاعه (فريد) وكان هو القائم بكل شىء برغم أن (فريد) أصغر من (زهير) .. لكن (زهير) كان دائمًا مشغولاً ، وأصبح (فريد) أبا العروسة يجهز للزفاف ولإنهاء جهاز أخته ، ويرعى والده ، كان فى دوامة لم تنته بدخول (سلوى) بيتها ، بل بدأت بشكل جديد .. حالة والده تتدهور بسرعة وهو رجل كبير ، ولا يمكن أن يترك وحده .. واقترح (زهير) على (فريد) أن يدخلوه مستشفى أو دارًا لرعاية المسنين ، ويذهبوا لزيارته يوميًا ، أو يقسموا الأيام بينهم .. وصمم (فريد) على أن يأتى بوالده ليعيش معنا .. احتدم النقاش بينهما ، ولأول مرة يرتفع صوت (فريد) .. لم أسمعه يناقش أحدًا

بصوت مرتفع أبدًا .. حتى عندما نتجادل لم يكن يرفع صوته أبدًا ..

تدخلت لأحسم الأمر .. الرأى الأخير لعمى لا داعى للجدال .. كان (زهير) يعرف أنه لن يستطيع أخذ والده عنده بسبب الأولاد وانشغال زوجته برعايتهم ، كما أن ضجيج الأطفال لن يناسب صحة والدهم الضعيفة ، وكان الحل من وجهة نظره أن يذهب أبوهم إلى المستشفى ويقوموا برعايته هناك .. كان (زهير) مصممًا على إرسال أبيه للمستشفى على أساس أنها ستوفر رعاية أفضل لأبيهم على مدار اليوم ، وخاصة بعد أن تزوجت (سلوى) وأنهم لن يستطيعوا تقديم رعاية مماثلة مهما حاولوا ، لأن لكل منهم عمله ، واقترحت زوجة (زهير) توظيف ممرضة لرعاية الأب .. كان اقتراحًا جيدًا ، لكنى عدت أقول إن الأمر فى يد عمى ، وهو من له القرار .. كنت أنسجم مع الوالد كثيرًا .. فهو إنسان طيب بكل ما فى الكلمة من معنى ، وكان يحبنى كثيرًا ، ويحب أن يجلس ويروى لى حكاياته وذكرياته مع والدة (فريد) ..

كان يحب أن يحكى عنها فى كل وقت ، لذلك تمنيت لو يأتى ويقيم معنا .. أنا و (فريد) وحدنا وصحبة والده أكثر من ممتعة .. كما أنى أعرف أن (فريد) لن يكون مطمئنًا عليه إلا وهو بجانبه ، ولو أتى وأقام معنا فقد يستريح (فريد) قليلاً من القلق على والده .

لكن عمى رفض ، صمم على أن يبقى فى بيته بجوار ذكرياته .. وقررنا أن نذهب لخدمته .. يوم أنا و(فريد) ويوم (زهير) و(نهلة) ويوم (سلوى) .. كانت أخته غاضبة من هذا الترتيب هى و(زهير) .. (فريد) نفسه كان غاضبًا ولكن لسبب آخر .. فبينما يريد (فريد) أن يأتى والده عندنا .. يريد أخوه وأخته أن يذهب إلى المستشفى لينال أحسن عناية طبية ممكنة ..

من منهم معه الحق ؟ لا أدرى ولا يهم .. المهم رغبة الأب المريض نفسه هو يريد أن يقضى آخر أيامه على سريره فى منزله الذى قضى فيه أجمل أيام حياته .. وعادت (سلوى) تقيم الحرب علىّ .. لماذا ؟ لا أدرى .. تقول : إننى منْ تزعمت الأمر .. هل كان علىّ أن أتركهم يجبرونه على الذهاب إلى المستشفى ؟

وهل أملك ذلك حتى إن أردت ؟ كان كل ما قلته مجرد رأى .. لكنه لم يعجب (سلوى) ..

انشغلنا فى رعاية والد (فريد) .. ونسينا موضوع الإنجاب .. أخرنا علاج (فريد) وعادت حالته تتأخر بسبب القلق والإجهاد العصبى ، لم يكن يأكل جيدًا ، فقد شهيته ولم يتناول الفيتامينات وباقى الأدوية .. لم أعرف ماذا أفعل .. لم أستطع أن أطلب منه تناول الدواء . فقط حاولت أن أريح عقله من الإجهاد ، وأن أفتح شهيته للطعام ..

حاولت أن أرفع معنوياته ، لكن مرض والده كان منعكسًا عليه بصورة فظيعة .. كان يزور والده كل يوم حتى فى غير الأيام التى تذهب فيها إليه ، يخرج من العمل إلى منزل والده ينتظر حتى يأتى أخوه وأخته ، ويعود ليأكل ويرتاح قليلاً ، ثم يذهب ليجلس مع أبيه فى المساء ، وأحيانًا يبيت معه ويأتى بالطبيب إذا لاحظ أى شىء .. لم يكن الطبيب يطمئننا على حالته ، لكنه لم يأمر بنقله إلى المستشفى .. أخذ

(فريد) إجازة ليبقى بجوار والده طوال الوقت .. كان (فريد) فى شدة قلقه هادئًا صامتًا .. يدخل ويخرج فى هدوء شديد .. لم يكن فى يدى شىء ، ومات الوالد .. مات فى هدوء بين يدى (فريد) .. كنت سعيدة لأنه مات بين يديه ، لم يكنٍ (فريد) ليتحمل أن يموت والده وهو بعيد عنه .. أخبره الطبيب أنها دقائقه الأخيرة ، فاتصل بأخيه وأخته ، لكنهم وصلوا بعد أن مات .. مات مبتسمًا هادئ الأسارير .. أكاد أقول إن أسارير (فريد) انفرجت بابتسامة وهو يقبل أباه والدموع تتساقط من عينيه .. أغلق عينيه ولقنه الشهادتين .. تساقطت الدموع من عينىَّ وأنا أراقبه هامدًا بجوار والده يقبله .. قبل جبينه ووجنته ويديه واحتضنه .. كان يحب والده بشدة .. دخلنا فى دائرة الحزن ولم نعرف كيف نخرج منها .

★ ★ ★



- ٤ -

قالت (نجلاء) محدثة (فريد) :

- ألا يكفى

سألها وهو غارق فى أفكاره :

- ماذا ؟

أجابته وهى تنظر إليه مشفقة عليه مما هو فيه :

- حزنًا .. إنه قضاء الله .

- وأنا لم أعترض .. لم أقل سوى « الحمد لله » .. أنا فقط أشتاق إليه .. أشتاق إليه كثيرًا ..

* * *

ومرت فترة طويلة قبل أن يبدأ (فريد) فى التعافى .. وعادوا ينقلون الموظف الذى يساعده .. لم تعلق (نجلاء) على ذلك من أجل (فريد) .. كانت سعيدة لأنه بدأ يتحسن وأن نفسيته أصبحت أحسن .. لكن

أحنقها أنهم عادوا يحملونه بعمل فوق طاقته .. أمسكت لسانها بصعوبة ، ودار فى عقلها الكلام دون أن تنطق به .. ألم أقل لك يا (فريد) .. لكنها سكتت كى لا تزيد همومه ..

اقترب موعد عيد ميلاد (فريد) .. كانت تريد مفاجأته بشىء يخرجه من الحزن تمامًا ويعيد إليه ابتسامته المشرقة .. أعلنوا فى العمل عن قيام رحلة ترفيهية .. فاشتركت فيها باسمها هى و (فريد) .. كانت قد ادخرت مبلغًا منذ فترة لتشترى هدية قيمة لـ (فريد) .. كما أنهم لم يأخذوا الإجازة السنوية بعد .. كانت فرصة .. هكذا فكرت ..

أسبوع كامل أنا و (فريد) على شاطئ البحر .. أخبرت (فريد) بالأمر فى آخر وقت ..

لم يكن سعيدًا أو متحمسًا بصورة كافية .. لكنها فكرت .. لا بأس .. على شاطئ البحر سنلهو ونلعب ، وسوف أنسيه كل أحزانه .. قبل السفر بيومين ذهبا لزيارة منزل أسرتها .. وجدت والدتها مريضة ..

ـ لمـاذا لم يخبرنى أحد .. (زهرة) لِمَ لم تأت لتخبرينى ؟

وجهت تساؤلها بـألم أكـثر منـه غضبًـا .. ردت (زهراء) مدافعة عن نفسها

ـ اسألى ست الكل .. لم ترض أبدًا .

ـ هل هذا كلام يا ماما ؟ أنت مريضة وأنا لا أعرف .

ـ إنه تعب بسيط وسأكون بخير .

كانت والدتها طريحة الفراش ، صوتها واهن ، مما أشعرها بـالقلق عليهـا ، فذهبـت لتسـأل أباهـا لعلـه يطمئنها :

ـ بابا ما الموضوع ؟

ـ لا تقلقى .

ـ كيـف لا .. وهذه أول مـرة يصل المـرض بـأمى للرقاد دون حركة .

ـ لا أعرف ماذا أقول لكِ .

ـ الحقيقة طبعًا يا بابا .

ـ لقد أصيبت بأزمة قلبية .

أزمــة قلبيــة !! ؟ لا أصــدق نفسـى .. دار عقـل (نجلاء) دون أن تعلق ..

سأل (فريد) والدها :

ـ هل الأمر خطير ؟

ـ أبدًا مرت بسلام .. إنها تحتاج للراحة وحسب .

اشتد قلق (نجلاء) على والدتهـا ، فكـرت فـى نفسـها .. كيـف أتركها وأسافر ؟ لم يخبرونى وأنـا قريبة منهم ، فكيف إذا سافرت ؟ لم تعرف ماذا تقول لـ (فريد) .. عندمـا عـادوا للمنزل جلست سـاهمة لا تدرى ماذا تفعل .. حدثها (فريد) :

ـ (نجلاء) أرى أنه لا داعى لأن نسافر .

ـ لا يمكن يا (فريد) إنها هدية عيد ميلادك .

ـ لا بأس .. أنا متنازل عنها .

ـ لكننا لن لا نستطيع سحب الاشتراكات .

- لا توجد مشكلة - الأهم أن نطمئن على صحة والدتك .

انفرجت أسارير (نجلاء) .. وشعرت أن حملاً ثقيلاً قد انزاح من على كاهلها .

- شكرًا يا (فريد) .. لا أعرف كيف أشكرك ..

- شكر على أى شىء إنها مثل والدتى - رحمها الله - بالضبط .. ثم أنا أيضًا أريد الاطمئنان على صحتها .. ولابد أن تذهبى لمساعدة (زهراء) فى رعايتها .

- أنت ملاك يا (فريد) ..

سكتت لحظة قبل أن تضيف :

- (فريد) لدى فكرة .. لِمَ لا نهدى الرحلة لأى شخص .. وبذلك لا تكون قد ضاعت دون جدوى ؟

- فكرة رائعة يا (نجلاء) .. ولكن لمن نهديها ؟

فكّر أنت ، إنها هدية عيد ميلادك أنت ، ومن حقك اختيار أصحاب الحظ السعيد .

- حسن .. اتركينى قليلاً لأفكر ..

- فقط أسرع كى يستعد من سيقع عليهم الاختيار .

- لايمكن أن تعطيها لـ (زهير) .. أين سيذهب بأولاده ؟ لن يستطيع إشراكهم حتى .. إذن نعطيها هدية لـ (سلوى) وزوجها ، ما رأيك ؟

(سلوى) هذا ما يشغل تفكيره .. أول من يخطر بباله .. كان علىّ أن أتوقعه .. سكتّ ، وعلى أى حال يكفى أننا لن نذهب ، وبسببى ..

- (نجلاء) لم تخبرينى ما رأيك ؟ ألم تعجبك الفكرة ؟

عدت لنفسى ..

- أبدًا يا حبيبى فكرة رائعة .. ولِمَ لا .. إنها ما زالت تعتبر عروسًا .. وبالتأكيد ستسعدهم الرحلة .. لِمَ لا تتصل بهم وتخبرهم ؟

- لِمَ لا تبلغينها أنت ؟

كانت محاولة منه لتحسين العلاقات بينى وبين أخته ، لكن الوقت قد تأخر على هذا .. لم يكن لدىّ أى استعداد لهذا الأمر .. أجبته متهربة :

ـ شكرًا يا (فريد) .. عندما تأتى منك يكون أحسن .. أسرع بإخبارهم ليستعدوا فالسفر بعد يومين فقط .

ـ حسن سأذهب الآن لإخبارهم .. ألا تأتين معى ؟

ـ لا يا حبيبى لدى الكثير لأفعله .. أول شىء تجهيز طعام الغد .

ذهب (فريد) قائلاً فى نفسه : حمدًا لله ، على كل شىء ، سنعوض هذه الرحلة عندما تسترد حماتى عافيتها ..

هكذا أخبرها (فريد) .. فكرت فى ألم .. متى ستنتهى المشاكل من حولنا ؟ لا أعرف متى ستستقر حياتنا دون أن يقلقنا شىء ؟ أعتقد أن حياتنا بالقليل بل بأقل القليل كانت ستصبح أسعد بكثير .. عادت تقول فى نفسها .. من أين يا ترى تأتينا المنغصات ؟

انشغلت بمرض والدتها ، لم تُفق سوى عندما ابتعد عنها شبحُ المرض ، عندها فقط أحست بالراحة .. أصبحت هى ذاتها تحتاج للتمريض كما

أخبرها (فريد) وقرر أن يأخذها فى رحلة علاجية لمدة يومين فى قرية سياحية ، رحلة سريعة تعويضًا عن الرحلة التى فاتتهم .. خطر على ذهنها أخته التى ذهبت وعادت من الرحلة دون أن تأتى لتشكره ..

لا أعرف لم أعاود التفكير فيها .. سألت نفسها فى غضب : كانت قد وعدت نفسها للمرة الألف ألا تشغل بالها بها .. عامةً نحن لا ننتظر منها شكرًا .. هكذا ألغت هذا الموضوع من عقلها ..

يومان فى الجنة ، ضحكنا ولعبنا وغسلنا همومنا فى مياه البحر ، تمنيت أن تذوب ليس فقط همومنا الماضية لكن المستقبلة أيضًا ، تمنيت أن تذوب جميع مشاكل الدنيا فى مياه البحر .. عدت مشرقة وكأنى صغرت هذه السنوات العشر الزائدة التى حلت علىّ فجأة

ـ إذا كان يومان فقط فعلا بك هذا ، إذن ماذا يصنع شهر ؟ أيعيدك طفلة !!

قالها (فريد) ضاحكًا .. ضحكت هى أيضًا ، وهى تجيبه بدلال :

ـ ولِمَ لا ؟ إذا أردت أن تعرف ، فما عليك إلا أن تجرِّب .

ـ لا لن أفعل فأنا لا أريدك طفلة ، بل أريدك كما أنت زوجتى حبيبتى ..

ـ معنى هذا أنك لن تأخذنى فى إجازة أبدًا .

وتصنعت الجدية وهى تمازحه .

ـ بل سنرى ـ عندما تصبحين عجوزًا أذهب بك لتعودى شابة من جديد ..

فكرت فى نفسها ، (فريد) معه حق ، فأنا أحمل كل شىء على أعصابى ، ويبدو أنى سأصبح عجوزًا قبل الأوان .. عادت لنفسها .. لا ليس مع (فريد) .

فى العمل حسدونى على سعادتى ، وخرج كل منهم بتعليق علىّ وعلى (فريد) .. ممازحين طبعًا .. ربما ليسهموا فى رفع معنوياتنا .. كان حزن (فريد) قد طال .. وانشغالى بمرض أمى .. كثير من الأشياء أرّقتنا فى الفترة الأخيرة .

★ ★ ★

كان (فريد) مستلقيًا على السرير ، يعمل فى أحد الملفات ، وهى جالسة تشاهد التلفزيون عندما سألته :

ـ (فريد) هل معنا نقود ؟

اعتدل جالسًا ..

ـ لأى شىء .

قامت لتجلس بجانبه بعد أن أغلقت التلفزيون .

ـ لنستثمرها .

ضحك (فريد) وقال :

ـ نستثمرها مرة واحدة ؟!

تغيرت تعابير وجهها وهى تقول :

ـ (فريد) لا تضحك منى .. أنا أتحدث بجدية .

ـ حسن لا تغضبى .. أنا لا أضحك منك . وسكت لحظة قبل أن يكمل ، أنا فقط أسأل فى أى شىء نستثمر ، وكم من المال ؟

ـ أجبنى أولاً ، هل لدينا مبلغ من المال ؟

ـ نعم .. لدينا ، فقط أخبرينى عن الاستثمار .

ـ قطعة أرض على البحر مباشرة أو أبعد قليلاً ..

ارتسمت دهشة على وجه (فريد) جعلتها تستدرك قائلة بسرعة :

ـ خارج كردون المدينة طبعًا .. نبنى عليها فيلا بحديقة صغيرة .. لنصطاف فيها .

أجاب (فريد) وهو لا يزال مندهشًا :

ـ قطعة أرض !

ـ نعم هناك قطعة أرض رخيصة يا (فريد) .. مقدمها ألفا جنيه ، والباقى على أقساط ، ما رأيك ؟

كانت تتحدث بحماس شديد لم يملك معه إلا أن يقول :

ـ كما تريدين يا حبيبتى .

قفزت مصفقة كالأطفال واحتضنته قائلة :

ـ كنت أعرف أنك لن ترفض .

ـ وهل أستطيع رفض أى طلب لكِ .

ـ أبقاك اللّه لى يا (فريد) .

ـ وأبقاكِ لى يا حبيبتى .

ـ اذهب لبابا غدًا ، كى تسألا عن هذا الموضوع .

ـ حاضر .. غدًا أذهب لعمى .. أوامر تانية يا حضرة الضابط ؟

ـ لا يكفى هذا يا مجند ، انصراف .. أكمل عملك ..

فى اليوم التالى مرًا على والدها بعد العمل ، وذهبا معه لرؤية الأرض وصحبتهم (زهراء)..

لم تستطع (زهراء) أن تمنع نفسها من الفرحة بالمكان وقالت :

ـ جميلة جدًا يا (نجلاء) .. تجنّن .. ستأخذوننى لأصيف معكم ، أليس كذلك ؟

ـ إن شاء اللّه يا (زهرة) ، فقط اصمتى قليلاً لنرى رأى (فريد) ورأى بابا ..

استدار والدها إليها قائلاً :

- مباركة عليكما إن شاء اللّه ..

ابتسمت (نجلاء) واتجهت نحو (فريد) تسأله :

- ما رأيك يا (فريد) ؟

- ما دامت تعجبك فهى تُعجبنى .

قال والدها :

- على بركة اللّه غدًا نذهب لصاحبها لنشتريها ..

قالت (نجلاء) متعجلة :

- ولمَ لا يكون اليوم ؟

فرد عليهما (فريد) ضاحكًا ، وهو يربت على كتفها :

- سنعود مجهدين ، أجليها للغد .

اشترى (فريد) قطعة الأرض باسمى .. لم أطلب منه ذلك ، لكنه صمم ، فرحت جدًا جدًا ، لا أدرى كيف أصف مدى فرحتى ..

أكمل والدها فرحتها وهو يقول :

- وأنا سأبنى لك السور على نفقتى ..

ابتسمت له ابتسامة واسعة قائلة :

- أبقاك اللّه لنا يا بابا ..

- فقط لتعلمى أن (فريد) ليس الوحيد الذى يحبك ..

بكت من الفرحة وهى تحتضن أباها .. احتضنتها والدتها وهى تقول :

- (عقبال) ما نأتى ونزوركم فيها .

سبق (فريد) نجلاء بالإجابة قائلاً :

- تنورى يا ماما ..

أول مرة ينادى فيها (فريد) أمى بماما .. قالها بتلقائية ودون أن يشعر ، مما جعل الدموع تتدافع لعينى ثانية .

* * *

عندما عادا لشقتهما هذا اليوم أخذت (فريد) بين يديها تدور به فى الشقة كلها .. وهى تقول :

ـ لا أصدق أننا فى السنة القادمة سيكون لدينا فيلا جميلة للاصطياف فيها ..

سندعوا ماما و (زهراء) وبابا ، أليس كذلك يا (فريد) .. وندعو (زاهر) وزوجته وأولاده .. بل سندعو (سلوى) كذلك .. هى وزوجها ..

ضحك (فريد) بشدة ..

ـ لم أكن أعرف أن هذا الأمر سيسعدك لهذه الدرجة وإلا كنت اشتريتها لك منذ زمن طويل .

ردت عليه مازحة :

ـ ها قد عرفت السر .. إذا أردت إسعادى اشتر لى قطعة أرض .

ـ مهلاً .. فقط قولى نبنيها ونكمل ثمنها .

ـ أخ .. قالت وهى تضرب رأسها :

ـ أيقظتنى من الحلم الجميل .. ما رأيك في أن نأخذ من كل من ينوى الاصطياف عندنا مبلغا مقدمًا مساهمة فى بناء الفيلا ؟

ـ ولماذا لا نقف ونجمع التبرعات لأننا مساكين لا نملك ثمن بناء الفيلا .

ـ اسخر ما شئت .. نبنى الفيلا ونؤجرها باقى السنة .

ـ من هذا الذى سيعيش بعيدًا عن كل شىء طوال السنة .

ـ أتقول إنها لا تصلح سوى للصيف ؟ غدًا يمتد العمران ، ونذهب لنعيش هناك نهائيًا ، أنسيت شقتنا القديمة ، لم تكن أقرب كثيرًا من قطعة الأرض هذه .

قالتها بجدية شديدة جعلته يكملها هو الآخر بجدية :

ـ معك حق يا (نجلاء) أنا أمزح معك فقط .. ألن نحتفل ؟ أريد أن أذوق طعم الحلويات الجميلة التى تصنعينها بيديك .

ـ حاضر يا فندم أمرك يا حضرة الضابط .

ـ بهذه السرعة رقيتنى من مجند لضابط ؟ شكرًا على الترقية .

- أحلامك أوامر يا فندم .

- اذهبى إذن وإلا سنأكل أحلامًا فى آخر الأمر .

★ ★ ★

- شكرًا يا بابا ، أنا مش عارفة أقولك إيه ..

- لا شكر على واجب ، إن بناء السور هدية منى .

- هل من السهل إدخال المياه والكهرباء ؟

سألت أبى وأنا أحس بالقلق ، إنه سؤال متأخر جدًا .. كيف لم أفكر فى هذا الأمر من قبل ؟ أجابنى أبى :

- بإذن الله سهل ، لا تشغلى بالك ، فقط جهزى نقودك .

رد (فريد) :

- معك حق يا عمى ، مازال أمامنا شوط طويل .

قالها بنبرة قلقة .. كنت أعرف أن (فريد) لا يحب الأقساط ، ويكفينا حاليًا سداد ثمن الأرض ..

★ ★ ★

- ٥ -

أخذ (فريد) مكافأة كبيرة لإنجازه عملاً صعبًا .. استطاع أن يجنب الشركة تحقيق خسارة ضخمة .. وبمجهوده الفردى حول الخسارة لربح متواضع .. وكان هذا فى حد ذاته إنجازًا كبيرًا .. استدعاه رئيس مجلس الإدارة وشكره بنفسه .. دعانا الأستاذ (سمير) لحفلة فى بيته تكريمًا لـ (فريد) ..

كانت علاقة (فريد) والأستاذ (سمير) ودية جميلة .. أنا أيضًا كنت فخورة بـ (فريد) جدًا .. وقلت له :

- جاءت فى وقتها نضعها فى الأرض .

- آسف جدًا ، أريد إنفاقها فى أشياء أهم .

انزعجت (نجلاء) من الكلام ، وظهر ذلك فى صوتها :

- أهم من الفيلا ؟!

أجابها (فريد) مبتسمًا :

- أجل .. مؤقتًا ، أنت نفسك قلت إنها استثمار طويل الأجل ، أنا أريد أن أفعل أشياء أخرى .

تظاهرت بأن الأمر لا يغضبها وقالت بدون اهتمام وهى تبتعد عنه :

ـ كما تحب .. إنها نقودك على أى حال .

تبعها وهو يقول :

ـ (نجلاء) حبيبتى لا تكررى مثل هذا الكلام .. إنها نقودنا معًا .. أنا نفس لكِ فكيف بنقودى ؟!

أبعدت يده عن كتفها واستدارت تواجهه :

ـ لا فائدة ، لن تضحك على بكلامك الحلو هذه المرة (أنا مخاصماك) .

ـ لكن أنا مصالحك .

ـ أبدًا .

ـ دعينا نر ، غدًا ستأتى وتصالحيننى .

ـ أبدًا لا يمكن .. ولا فى أحلامك .

ـ سنرى ..

فى اليوم التالى خرج (فريد) بعد الظهر وحده ..

ولأنى من المفترض أننى لا أكلمه فلم أسأله .. عاد (فريد) مع العمال بصندوق كبير .. ترى ماذا فيه ؟ غلبنى الفضول وذهبت لأرى ..

ـ يا إلهى .. غسالة فول أتوماتيك .. (فريد) لا يمكن .

وأشار لى (فريد) لأصمت .. حاسب العمال ثم انصرفوا .. انتظرت حتى أغلق الباب ..

ـ (فريد) لا تستطيع .. لا يمكنك .

قال ليغيظها

ـ ألا تقولين إنك لا تكلميننى ؟

ـ (فريد) أنا جادة .. ألم تعدنى يوم انتقلنا لهذه الشقة أنها آخر مرة نسرف فيها ؟

ـ نعمَ لكنى قصدت أنه آخر عيد زواج أسرف فيه ، وهذا شىء آخر .

ـ أى شىء آخر ؟

ـ لقد اشتريتها من أجلى أنا .. كى أستطيع أن أقوم بالغسيل .

ـ (فريد) كف عن تدليلى .. وإلا فلن تستطيع أن تحدثنى بعد ذلك .

ـ أنا لا أحتاج لأن أكلمك .

ـ (فريد) .. لا يمكن ، هذا كثير .. كنا وضعنا المال فى استثمار أحسن .

ـ أى استثمار أحسن من راحتك ؟!

ـ أنا لا أتعب من أعمال البيت .. هل شكوت لك !

ـ لا ، لكنى أعلم أن لا وقت لديك .

ـ (فريد) .. هذا كثير جدًا حقيقة .

ـ إن معى مصباح علاء الدين .. لأحقق أحلامك .

ـ لا تهرب بالكلام الحلو .. يجب ألا نسرف هكذا .

ـ أخبرتك قبلاً أن النقود وجدت لننفقها .. كما أنى لا أرميها على الأرض أنا أشترى الكماليات التى حرمتك منها فى أ ول زواجنا .

ـ لكنك لم تحرمنى من شىء يا (فريد) .

ـ لا يا (نجلاء) هذا غير صحيح .. ومازال ينقصك الكثير .

تأثرت (نجلاء) بشدة من كلامه فأجابته بحرارة شديدة :

ـ لا شىء ينقصنى ما دمت معى ..

ثم استدركت بحسٍ واقعى :

ـ (فريد) هل ذهبت المكافأة كلها ؟ لم يبق منها شىء ؟

عبث (فريد) فى شعره وأجاب مترددًا ـ وهو يبتسم كطفل صغير مما دفعها للابتسام هى الأخرى :

ـ الحقيقة !

ردت ببطء ..

ـ ماذا يا (فريد) ؟

ـ الباقى كان مبلغًا صغيرًا .

أجابته متأنية :

- ولذلك !!

- اشتريت به ..

سكت (فريد) فتعجلته :

- ماذا ..

- قميصًا وبنطلونًا لى ..

- وماذا يا (فريد) ؟

- وفستانًا لكِ و ..

- أكمل ، وماذا بعد ؟

تعجلته فى نفاد صبر جعله دون أن يدرى يتمهل أكثر فى الإجابة :

- و .. هدية لماما بمناسبة شفائها و ..

- ها ما زال هناك شىء ؟

- لا وحسب .

- لا .. المفترض أن تقول : وانتهت المكافأة .

ابتسم لها ابتسامة صافية ، كان تعبيره مضحكًا جدًا لها ، مما جعلها تشعر بأنها والدته وليست زوجته .

- كل مكافأة وأنتِ طيبة .

- وأنت طيب .. يا طيب ..

★ ★ ★

- لا فائدة فى (فريد) ما فى عقله يظل فى عقله ..

كانت غاضبة بشدة وتحرك رأسها علامة على الرفض مع كل كلمة تنطقها ..

ردت أمها وهى تهدئها :

- غدًا يعقل .. عندما تنجبون طفلاً .

- لكنه لا يحمل همًا للغد .. لا يدخر أى شىء .

- ليس لهذه الدرجة يا (نجلاء) .

- أبدًا يا ماما .. تصورى بعد ثمن الأرض وأقساطها لن نملك حتى ثمن البناء .

- لكن يا حبيبتى أنتم ما زلتم فى أول حياتكم ويكفى أنه استطاع شراء قطعة الأرض .

أجابتها (نجلاء) بعدم اقتناع :

ـ أعرف يا ماما .. لكنه مسرف ، لا تنكرى :

ـ حبيبتى دعيه ينفق ويسعد ويسعدك .. لا تحملى همًا ..

دائمًا لك مدافع فى منزلنا يا (فريد) حسن .. لاشىء بيدى .. فكرت فى نفسها بوهن .. فليفعل مايريد ، لا أدرى لِمَ أحرق أعصابى .

غدًا يعقل عندما نأتى بطفلٍ .. رن فى أذنها كلام أمها .. وتساءلت فى نفسها : هل حقًا سننجب ؟ هل سأرزق بطفل يومًا ؟ الحالة مطمئنة .. وجيدة ، ولا يوجد موانع ، ولكن فى الوقت ذاته لايوجد حمل .. هل حقًا لا يشغل بالى هذا الأمر كما أخبرت (فريد) ؟ أشتاق لطفل .. من المؤكد أنى أشتاق لطفل صغير أحمله .. أهدهده .. ألاعبه .. أراقبه يكبر ليصبح شابًا أو شابة يافعة ..

لكن ؟! ماذنب (فريد) فى ذلك لايمكننى أن أحمله ذنب ذلك ، ولا أن أحمل نفسى .. إنه قضاء الله

وقدره ، ولا نملك معه شيئًا .. إلا الصبر والدعاء .. حقًا أنا أتمنى طفلاً بشدة ، ربما هذا مايجعلنى ثائرة دائمًا وغير راضية .. إن السنين تجرى من عمرى .. فكرت فى سخرية متذكرة كلام سلوى .

« لقد اقتربت من إتمام الثلاثين » .. سنة والثانية وأجد أنى أتممتها وستقل فرصتى فى الإنجاب ، وبعد قليلٍ يصبح من الخطر علىّ الإنجاب .. يا إلهى .. عادت (نجلاء) لنفسها قليلاً .. لماذا أعقد الأمور ؟ يكفينى طفل واحد .. واحد فقط .. يا رب ..

ـ (نجلاء) ..

ناداها (فريد) وأفاقها من شرودها ..

ـ نعم ..

ـ أين ذهبت ؟

ـ أنا معك ..

ـ أبدًا لقد كنت بعيدة ..

ـ بل كنت أقرب مما تتخيل ، كنت أفكر فيك .

ـ أفكارًا جميلة ؟

ـ طبعًا يا (فريد) .. لكنى كنت أتساءل ..

لم تكمل كلامها فسألها (فريد) :

ـ عن ماذا .

فكرت فى نفسها .. ماذا ستقولين له يا (نجلاء) ؟ هل جُننتِ .. أجابته :

ـ نسيت .. دعنا من هذا الأمر ـ ما رأيك لو أعدّ كعكة وأجملها .

قالت أول ما خطر ببالها ثم أكملت :

ـ ونضع شموعًا ونطفئها بعد ذلك ..

ـ بأى مناسبة ؟

سألها (فريد) متحيرًا فقالت له :

ـ اختر أنت المناسبة .

ابتسمت له فبادلها الابتسام ، واقترب منها ووضع يده على كتفيها قائلاً :

ـ فلتكن بمناسبة حب ..

لا أدرى من أين تأتينى مثل هذه الأفكار السوداء .. يجب أن أشغل يدى بشىء حتى يكف عقلى عن التفكير .

* * *

بعد عدة أيام وهم فى العمل سألتها (سامية) إن كانا يريدان الاشتراك فى جمعية .. أشارت بيدها لمكتب (فريد) وهى تقول :

ـ لا أعرف اسألى (فريد) ..

قام (فريد) واتجه لمكتبى واتكأ عليه قائلاً :

ـ طبعًا سنشترك ، وبفردين ..

ـ أليس كثيرًا يا (فريد) !

ـ سنتكلم فى هذا الأمر فى وقت آخر .

تكلم بلهجة حادة لم تعتدها منه .. وما إن انتهى وقت العمل وغادرا حتى تكلمت دون أن تستطيع كتم فضولها أكثر من هذا !

ـ ما الأمر يا (فريد) ؟

ـ أبـدًا .. (محمـد) زميلنـا لديـه ظروف .. ابنـه سيقوم باجراء عملية جراحية ويحتاج للنقود بسرعة .

ـ ولكن أليس كثيرًا علينا الاشتراك بفردين ؟

ـ لا ليس كثـيرًا ، اشتركى بمرتبك بالكامل ألست متعجلة بناء الفيلا ؟

ـ أى فيلا .. لقد جعلت دورنـا الأخير أى بعد عمر طويل .

ـ إن الناس للناس ، ويجب أن نقف بجانب زملائنـا .. إن لم نقف بجانبهم وقت الشدة فمتى ؟

ـ لكن ليس لهذه الدرجة ، كنـا نأخذها فى وسط الترتيب حتى .

ـ لكنك تعرفين أن الجميع سيرفض آخر فردين ، وقد تنتهى الفكرة قبل أن تبدأ من أجل شىء كهذا .

ـ لا أعرف يا (فريد) .. لا أعرف ، أعتقد أنـه مبلغ كبير لنستقطعه من مرتبنا .

ـ اعتبرى أننا اقترضنا ونسدد القرض .. ألم تغضبى من إسرافى ؟ هأنذا أدخر .

ـ (فريد) أنت مبالغ فى الأمرين ..

ـ اتركيها للّه ليدبرها .. وكفى عن تعقيد الأمور .

ردت فى ألم :

ـ هل أعقّد الأمور حقًا يا (فريد) ؟

ـ حبيبتى هل غضبت ؟ فقط أنتِ تأخذين كـل شـىء على أعصابك ، وأتمنى أن تهوّنى على نفسك قليلاً .

أجابته دون أن تستطيع تخليص صوتهـا تمامًـا من الضيق :

ـ حسـن يا (فريد) ربمـا معـك حـق .. فلندخـر لا بأس ..

وأكملت بعد لحظة من الصمت وهى تحذره بإشارة من يدها :

ـ لكننا سنضغط الإنفاق قليلاً .

ـ كل ما يأمر به وزير ماليتى مجاب دون أى اعـتراض من العامّة أمثالى .

دفعها أسلوبه المرح فى الرد إلى الضحك رغمًا عنها ..

ـ نعم هكذا .. أرينى ضحكتك الجميلة .

ـ لقد عفوت عنك ، فقط لأننا سنضع المال فى بناء الفيلا .

ـ آه أنا ممتنّ لهذه الفيلا من قبل أن تبنى ، فأنا مدين لها برقبتى .

انخرطا فى الضحك بشدة حتى شعرت (نجلاء) بالدموع تصعد إلى عينيها ، فسارعت تقول :

ـ اللهم اجعله خيرًا .

ـ خير إن شاء اللّه يا (نجلاء) ، ما دمنا معًا فسيكون خيرًا بإذن اللّه .

سألت (نجلاء) نفسها .. هل من الممكن أن أكون أكثر سعادة من ذلك ؟ ربما ، لكننى لن أعرف حتى أجرب سعادة أكبر .. لكننى الآن أشعر بأننى أعيش أسعد أيام حياتى .

عندما سألت (فريد) لِمَ تزوجها ، أجابها بدون تردد : لأنى أحببتك .. فكرت فى نفسها أما أنا .. فأعترف

أنى عندما تزوجته لم أكن متأكدة من أنى أحبه .. كنت معجبة به بشدة لا أنكر .. لكننى لم أكن أعرف هل أحببته أم لا ؟ لم أعرف إلا بعد الزواج ، بعد العشرة معه .. أحببته بعمق قليلاً .. بل إن ما أشعر به نحوه أكثر من هذا ، شىء أكثر من الحب ..

ارتباط أقوى من كل هذا .. لولا شىء صغير .. فكرت فى ألم .. لولا أن تصرفاته تجعلنى أنفعل بشدة وتثور أعصابى ، وعندها أقول له أشياء لا أعنيها أبدًا .. عمومًا (فريد) دائمًا يسامحنى .. استجلبت ذكراه ابتسامة إلى شفتيها .. حمدًا للّه ، إنه أعطانى زوجًا كـ (فريد) .. دائمًا يفهمنى .. أرجو أن يتم اللّه علىّ نعمته بطفل صغير لتكتمل سعادتى .. غرقت (نجلاء) فى النوم وابتسامة رضًا عريضة تملأ وجهها ونفسها .

* * *



- ٦ -

كانت تجلس فى استرخاء على الأريكة هى و (فريد) يسمعان قطعة موسيقى .. عندما خطر على بالها شقة أبيه :

- (فريد) هل قررتم شيئًا بشأن الشقة .

أجابها (فريد) دون أن يفهم :

- أى شقة ..

أجابته بصبر فارغ بسبب عدم تنبهه لقصدها :

- شقة أبيك يا (فريد) .

- لا أدرى ..

- هل ستتركونها مغلقة هكذا أم ستبيعونها ؟

اعتدل فى جلسته ، وقال فى دهشة :

- نبيعها ؟! لمَ .. أنت تعرفين كم كان أبى - رحمه الله - يحبها .

- لكن لا يمكنكم تركها هكذا فسيفسد الأثاث .

لقد ذهبت (سلوى) وغطت كل شىء وأغلقتها .. آه .. على ذكر (سلوى) ، لقد فكرت أن أدعوها هى وزوجها على العشاء .. ما رأيك ؟

سكتت (نجلاء) للحظة تفكر قبل أن تجيبه : إنها لا تحتمل (سلوى) .. لكنها أخت (فريد) ، وبرغم اختلافها مع (سلوى) فهى تحترم حب (فريد) لها وحبها له ، ومع ذلك أجابته دون أن تستطيع تخليص صوتها من الضيق :

- بالتأكيد يا (فريد) .

لم يلحظ استياءها .. وأضاء وجهه بابتسامة لم ترها منذ فترة ، مما جعلها تشعر بالذنب لأن ضميرها لم يكن صافيًا تمامًا .

- أنا سعيد بك يا (نجلاء) أنا فعلاً محظوظ .. أنت تعرفين أنى و (زهير) عائلتها الوحيدة .. لقد فقدت أمى وهى ما تزال طفلة وها هى ذى تفقد أبى .. يجب أن نقترب منها أكثر ..

ـ حاضر يا (فريد) .. أنت تعلم أنى لا أتحامل عليها .

قالت مدافعة عن نفسها ، فأجابها (فريد) مؤكدًا لها :

ـ أعرف يا حبيبتى .. وأعرف أن كلامها حاد .. لكن صدقينى قلبها أبيض ولا تقول هذا الكلام إلا لأنها تريد سعادتنا .

فكرت (نجلاء) فى نفسها ، تريد سعادتك ولو على حساب سعادتى ؟ ربما كانت هذه ميزة فيها وليس عيبًا .. لا أدرى .. لم أعد أدرى شيئًا .. من أجل (فريد) فقط سأحسن استقبالها فى أى وقت تأتى فيه ، إنه بيت أخيها الكبير ، ويجب أن يكون مفتوحًا دائمًا لها ..

أعدت (نجلاء) أصنافًا وأصنافًا من الطعام استعدادًا للدعوة .. جاءت (سلوى) وزوجها فى ميعادهم .. الرجل غاية فى الرقة والذوق ، أحضر معه باقة ورد وعلبة شيكولاتة .. جلسوا ليتجاذبوا أطراف الحديث ، ودخلت (نجلاء) لتجهيز المائدة .. بعد أن انتهت نادتهم .. ما إن جلست (سلوى) حتى

علا وجهها تعبير اشمئزاز ، وقامت بسرعة قائلة إنها لا تحتمل الرائحة بأى شكل ، وإن نفسها قد (غمت) عليها .. اضطر زوجها للقيام معها .. فقامت (نجلاء) و(فريد) أيضًا .. أحضرت لها (نجلاء) كوب ليمون وألحفت عليها لتعود للمائدة ..

ـ آسفة ، لن أستطيع حقًا ، تفضلوا أنتم ..

كان الموقف شديد الإحراج للجميع ، واضطروا للجلوس جميعًا فى حجرة المعيشة وأحضرت (نجلاء) أطباق الحلو والفاكهة .

قالت (سلوى) موضحة :

ـ الحقيقة أنى أشعر بهذه الأعراض منذ بداية الحمل .. أنت تعرفين كيف يكون الأمر .

وضعت يدها على فمها كأنها أخطأت فى الكلام بدون قصد ، ثم قالت مستدركة :

ـ آسفة .. أقصد بالتأكيد لديك ، فكرة .

التقط (محمد) طرف الحديث ليغطى على كلام زوجته :

ـ كنت أريد أن أسألك إذا كان لوالدك خبرة فى مجال المقاولات .. دار الحديث بعد ذلك بتوتر أقل وإن لم يختف جو الإحراج تمامًا .. على أى حال لم تعد (نجلاء) منتبهة بصورة كلية لما يقال .. انتهت السهرة مبكرًا .. ودعاهما وذهبت (نجلاء) إلى المائدة العامرة التى جهزتها ..

ـ (فريد) ألن تأكل ؟

سألته وهى تضحك وتقول فى نفسها ، حقًا همٌّ يُبكى وهمٌّ يُضحِك .. رد عليها بالإيجاب .. كانت تعلم أنه يجاملها وحسب ، فلابد أنه فقد شهيته مثلها ..

أحضرى قطعتى بُفتيك وطبق مكرونة وتعالى نأكل هنا ، واتركى باقى الطعام لما بعد .. وفرت على نفسك أسبوع طهى .

أجابته وهى تُحضر الطعام :

ـ معك حق .

عادت تضحك ، فكرت فى نفسها ، لقد وعدت نفسى ألا أغضب منها .. كنت سأستسلم لإغراء الرد

عليها ، ثم أمسكت لسانى لأجل (فريد) .. وجدت نفسها تضحك فى النهاية ساخرة منها .. فكرت فى نفسها ، لم تكن (سلوى) تعرف أنها بكلماتها هذه تؤذينى ، ليس لأن بى عيبًا ولكن لأن (فريد) يتضايق .. لم تكن تعرف أنها تؤذى (فريد) .. ولو أنه لا يُظهر تأثره بهذا الأمر .. أعرف أنه يتركه لله فى كل الأحوال .. ولكن ماذا لو أخذنا لأنفسنا فترة نحياها دون أى ضغوط ؟

* * *

كان عيد ميلاد (فادى) بن (زهير) بعد يومين .. لم تنس (سلوى) تذكيرها بطريقة استفزازية .. (فادى) ولد ذكىّ جدًا ، وقد أحبته بشدة .. قررت أن تحضر له لعبة كلها فك وتركيب ليُعمل عقله فيها .. أما (فريد) فأحضر له مجموعة قصص وكتب علمية ..

ـ أثلج صدرها الترحاب الذى تلقوه من (زهير) وزوجته .. وسعد (فادى) بالهدايا .. أعطى كلا منهما قبلة على خده ، وانطلق ليرى الهدايا لأصدقائه .

كانت حفلة مبهجة .. لفت نظر (نجلاء) أن (زهير) أخذ يتحدث مع (فريد) على انفراد لفترة .. عندما عادا سألت (فريد) عن الأمر ..

ـ أتذكرين حديثك عن الشقة .

ـ نعم بالطبع .. شقة أبيك .

ـ (زهير) له نفس رأيك .

ابتسمت وهى ترد :

ـ ألم أقل لك .. هل يريد بيعها .

رد (فريد) مستنكرًا ما فكرت فيه :

ـ بالطبع لا .. كيف تقولين هذا ؟ إنه يريد أن ينتقل إليها ..

ـ ماذا !!

ـ سألنى قبل أن يتكلم مع (سلوى) .

ـ لا أعتقد أنها ستوافق .

ـ لماذا ؟

كان تعبيره اندهاشًا أكثر منه سؤالاً ، ولكنها تجاهلت هذا الأمر ..

ـ لأنه لا حق له فى أن يستأثر وحده بالشقة .. لماذا لا تجمعون كل ما كان يملكه عمى ـ رحمه اللّه ـ وتقتسمونهُ ؟

ـ أنتِ تعرفين أن أبى لم يترك الكثير .. كما أن الشقة لمن يحتاج إليها .

ردت فى سخرية :

ـ و (زهير) من يحتاج إليها ؟

لم ينتبه لأسلوبها الساخر ، وهو يشعر بالحيرة لرد فعلها .

ـ لا أفهم . هل تريدين ترك شقتنا ؟ هل تريدين أن ننتقل لشقة أبى !

لا فائدة لن يفهم أبدًا ما تقصده ..

ـ أنتم أحرار تصرفوا كما تريدون ..

ـ عمومًا الأمر سابق لأوانه (زهير) لم يقرر الانتقال بعد .

سكتت على مضض .. أحنقها منطقة .. أخوه الوحيد كما يقول ، ولكن ألستم أولى بالمال الذى يأتى من وراء هذه الشقة .. إن لم يكن بالبيع فبالإيجار .. إنها شقة كبيرة ، وفى منطقة راقية ، ولا شىء فى تقسيم ما يأتى من ورائها حسب الشرع ..

تجاهل (فريد) الأمر ، وسكت عنه ، ولم يترك الموضوع عقلها .. « لماذا يترك حقه ؟ شىء لا أستطيع فهمه أبدًا » .

وافقت (سلوى) على أن يأخذ (زهير) الشقة .. تعجبت (نجلاء) كثيرًا من موافقتها تلك .. لم تعتقد أنها ستترك حقها بهذه السهولة .. فكرت فى النهاية ربما لا يحتاج الأمر كل هذه الجلبة التى أثيرها ..

* * *

ـ (فريد) ما رأيك فى أن نذهب لنُطل على الأرض .

ـ لماذا !!

ـ أريد أن نأخذ نخلتين لنزرعهما .

ـ ومن سيراعيهما ؟

ـ لذلك أريد زراعة نخل سيرعى نفسه فيما بعد ، فقط يكفى أن نتابعه فى الفترة الأولى ثم نتركه ..

سكتت لحظة قبل أن تقول :

ـ على فكرة لقد طلبت مَن (أحمد) ابن عمى إعداد تصميم للفيلا .

قال ضاحكًا :

ـ حسن ضمنا أننا لن نستطيع بناءها أبدًا .

سألته فى فضول مبتسم :

ـ لماذا ؟

ـ لأن (أحمد) مشغول دائمًا ، ولن يجد وقتًا لعمل التصميم .

ـ أبدًا .. لقد جعلت (زهراء) تتابع الأمر معه ، وأنت تعرف (زهراء) .. أسبوع على الأكثر ويكون التصميم عندنا .

تذكرت شيئًا فأكملت حديثها بعد صمت لحظات :

ـ على ذكر (زهراء) هل أخبرتك ! لقد جاءها عريس .

ـ حقًا ألف مبروك .

أسرعت تقول :

ـ لكنى لا أوافق .

سألها عن أسباب الرفض فأجابته :

ـ إنها لا تزال طالبة .. تنهى دراستها أولاً .

ـ هذا أمر راجح لها ولعمى .

ـ ولى أيضًا . كما أن بابا رأيه من رأيى ـ لا يوافقها إلا ماما .

ـ إذن (زهراء) موافقة .

ـ تريد أن تتزوج وحسب .. عقل أطفال .

ـ أى أطفال ؟! إن عمر (زهراء) ٢٠ سنة ، وهى أدرى بمصلحتها .

ـ بل أنا أختها الكبيرة وأنا أدرى بمصلحتها .

ـ (نجلاء) اتركيها تقرر لنفسها .

ـ على أى حال سأراه أولاً وقد أغير رأيى .. ستأتى معى يا (فريد) ، أليس كذلك ؟

ـ أكيد ..

* * *

فيما بعد فى بيت والدها بدا رأى (نجلاء) واضحًا من خلال أسئلتها لـ (وجدى) وإجاباته عليها .. فكرت فى نفسها ، شاب حديث التخرج ، ليس لديه شقة ، ولا معه ما يكفى لشراء شقة ، لقد بدا رأيها واضحًا حتى إن (وجدى) قال مدافعًا عن نفسه :

ـ لست متعجلاً الزواج .

سألته ساخرة :

ـ إذن لماذا تطلب يدها ؟

أجاب بهدوء :

ـ يمكننا أن نبدأ بخطوبة الآن ، وأنا متأكد من أننى فى خلال سنة أو ثنتين سأكون قادرًا على بناء الشقة .

ـ أين .

سألته (نجلاء) وهى تعرف الإجابة سلفًا من (زهراء) :

ـ فى منزل أبى .

ـ لكنه بعيد جدًا .

ـ غدًا يمتد العمران إليه ، إننا فى بداية حياتنا ولا بأس فى أن نتعب قليلاً .

استأثرت (نجلاء) بالحديث تقريبًا ، وقضت على كل محاولة تمت للتدخل وتلطيف الجو .. وبمجرد أن انصرف (وجدى) عاجلتها والدتها :

ـ لا حق لك فى ذلك يا (نجلاء) ، لقد عصرته .

ـ لماذا يفكر فى الزواج ولا إمكانات لديه ؟

أجابها (فريد) :

ـ غدًا يصبح فى حال أحسن .. وفى أسرع وقت سيكون جاهزًا للزواج ..

ـ ولماذا لا ينتظر للغد ليطلب يدها ؟

أكملت مستدركة بعد أن واجهوها بنظرات استنكار :

ـ لا أريدها أن تنشغل عن دراستها ..

قامت (زهراء) غاضبة ودخلت حجرتها .. قال (فريد) :

ـ ليس لك حق فيما تقولينه ، المهم رأى (زهراء) ..

ارتفعت نبرة صوت (نجلاء) وهى ترد :

ـ هذا الأمر عائد لى لأقرره

لاحظ أبوها التوتر الزائد فى نبرتها ، فرد عليها قبل أن يتكلم (فريد) :

ـ كفى يا (نجلاء) .. كفى .. لا داعى لأن تتكلمى وأنت فى مثل هذا الانفعال فتخطئى .

سكتت (نجلاء) على مضض .

ـ هيا بنا يا (نجلاء) .

قام (فريد) منتظرًا أن تتبعه ، لكنها انتظرت لحظة .. ونظرت إليه ـ لاحظ أبوها ترددها فقال :

ـ اذهبى يا (نجلاء) واتركى هذا الأمر لى .

فى الطريق لم تتكلم معه .. بمجرد أن دخلا إلى المنزل بدأت الكلام :

ـ (فريد) من فضلك لا تتدخل فى هذا الأمر بالذات .

ـ إن (زهراء) فى منزلة أختى ، ويجب أن أتدخل لمصلحتها .

ـ أرجوك يا (فريد) .

ـ (نجلاء) هل ستكملى الشجار الذى بدأته هناك ؟

ـ أنت لا تريد أن تقتنع وتقف ضدى .

ـ إنها ليست حربًا .. إنها حياة أختك ، وأنا لا أقف ضدك .. أنا أقف مع الحق .. (وجدى) شاب ممتاز .. لا أستطيع أن أفهم ما عيبه فى نظرك ؟!

أن شقته لم تبن بعد ؟ أنها فى مكان بعيد !! وماذا فى ذلك ؟ إن لديه وظيفة جيدة وطموحًا ، ويحب (زهراء) وما زالت أمامهم أعوام طويلة ليبنوا حياتهم ـ هل نسيت كيف بدأنا نحن حياتنا ؟!

ـ لكن يا (فريد) ظروفك كانت أفضل .

ـ لأننا كنا أكبر .. لا تنسَىْ ذلك .

ـ أنا لا أنسى شيئًا ، لكن لماذا تتعجل ؟ ما زالت صغيرة ، وربما تجد فرصة أفضل .

ـ فرصة !! أهكذا الزواج فى نظرك ؟

سألها وهو يستنكر أن تكون هذه طريقة تفكيرها ..

ـ لا أصدق يا (نجلاء) ..

دافعت عن نفسها :

ـ أنا لا أقصد ماديًا فقط .. فقد تُغير رأيها فى (وجدى) بعد ذلك .

هل هذا ما حدث معك .

ـ (فريد) لماذا تأخذ الكلام علينا .

ـ ولماذا تأخذين الأمر بهذه الحدة ، كأن بينك وبين (وجدى) ثأرًا شخصيًا .

كل ما فى الأمر أنى لا أظنهما ناضجين كفاية .

أراد أن يرد عليها فقاطعته مكملة حديثها :

ـ حسن يا (فريد) دعنا من هذا الأمر ، لقد قال أبى إنه سيتكفل بالأمر ، وفى النهاية رأيه هو الأهم .

★ ★ ★



ـ ٧ ـ

توجهت (سامية) إلى (نجلاء) بظرف مغلق ..

ـ تفضلى ها هى ذى الجمعية والشهر القادم لكم أيضًا ..

تنفست (نجلاء) الصعداء ..

ـ لا أصدق يا (سامية) أن هذه الجمعية انتهت أخيرًا .

ـ المهم أن معك فى النهاية مبلغًا لا بأس به ..

ـ نعم .. سأبدأ فى البناء فورًا ..

توجهت بالنظر لـ (فريد) لترى إن كان يتابعها لتسأله :

ـ ما رأيك يا (فريد) ؟

ـ نتكلم فى هذا الأمر بعد العمل يا (نجلاء) .

كانت نبرته هادئة ولطيفة ، ومع ذلك شعرت

بالإحراج أمام (سامية) .. لكنها تعرف أنه لا يتكلم فى أمور شخصية فى أثناء العمل .. كان عليها ألا تحدثه فى مثل هذه الأشياء الآن .. لذلك لم تعلق .

★ ★ ★

- حبيبتى .

- نعم يا (فريد) .

- هل غضبت منى ؟

ردَّت بابتسامة غير مكتملة :

- لا .. أنا أعرف طبعك .

بدا راضيًا بهذه الإجابة فاستكمل حديثه :

- لا تتعجلى فى أمر البناء ، اتركى النقود حتى تتجمع ، لن تستطيعى فعل شىء بها الآن .

- فكرة يا (فريد) .. فكرة جيدة .

بدت مقتنعة وإن لم تكن كذلك فما كان (فريد) ليلاحظ هذا .. انتظرت للشهر التالى حتى يكفى المبلغ

لبداية جيدة ، ومع ذلك صممت على الذهاب لزراعة صبَّار .. كاد أن يصبح شكلها حديقة حقًا .. كانت البوابة التى وضعها والدها ذات لون أخضر بهيج - والسور أبيض .. لم تكن تصدق أن كل هذا الجمال ملكها هى .. وأنها ستقضى هى و (فريد) فيه .. ماذا ؟ مرَّ بذهنها أنه ربَّما الصيف القادم .. إن الأيام تقترب لبداية البناء .

★ ★ ★

كانت غارقة فى أحلامها عندما جلس (فريد) بجوارها صامتًا .. نظرت نحوه لتخبره بشىء ، لكنها توقفت أمام التعبير الغريب البادى على وجهه :

- ماذا هناك يا (فريد) ؟

- صاحب الأرض ..

سكت ، لكنها لم تتعجله ، فقط انتبهت لما قد يقول :

- اتصل بى ، يبدو أن هناك مشكلة ..

- لقد أنهينا سداد الأقساط أليس كذلك ؟!

ـ نعم منذ فترة كما تعلمين .

ـ إذن ما المشكلة ؟!

ـ لم أعرف بعد ، سأذهب لزيارة الرجل غدًا إن شاء الله .

ـ (فريد) لا تذهب وحدك ، خذ أبى معك ..

ـ لا داعى لأن نقلق عمى يا (نجلاء) .

ـ لا .. أنا لايعجبنى هذا الرجل ، من البداية وأنا لا أرتاح له .. خذ أبى معك ..

ـ حسن يا (نجلاء) كما تريدين .

عندما عاد أبوها مع (فريد) .. كان قلبها منقبضًا .. كانت منتظرة مع والدتها و (زهراء) .. لم يعجبها شكلهما ، توجهت بحديثها لـ (فريد) فى قلق :

ـ ما الأمر يا (فريد) ؟ أريد أن أطمئن .

بادرته أمها قبل أن يرد :

ـ خير إن شاء الله يا بنى .

ـ خير يا ماما .. خير إن شاء الله .

ردَّ والدها بنبرة حانقة :

ـ ومن أين يأتى الخير ؟ هذا الرجل نصاب ..

وجهت حديثها لأبيها :

ـ ماذا حدث يا أبى ؟ هل يريد نقودًا أكثر ؟

أجابها أبوها وهو يتجه للمقعد ليجلس :

ـ ليته فعل .. إنه يريد الأرض .

أجابته مصعوقة :

ـ أية أرض ؟ أرض ؟! لا يمكن أبدًا .

ردَّ أبوها بنبرة لائمة .

ـ لكن زوجك وعده .

نظرت لـ (فريد) مستنكرة :

ـ وعدته بماذا يا (فريد) ؟ أن تعيد أرضى إليه ؟

كان (فريد) صامتًا طوال الحوار .. لم يحاول الرد .

قالت أمها فى محاولة لتلطيف الجوّ :

ـ اهتدى بالله يا بنيتى ، وانتظرى حتى نفهم الأمر .

قالت (نجلاء) غير مصدقة :

ـ أى أمر هذا .. ألم تسمعى بنفسك ؟

أخيرًا تكلم (فريد) :

ـ دعينا نذهب للمنزل ونتكلم ..

كانت قد بدأت تفقد أعصابها ، وبدا هذا واضحًا للجميع خصوصًا (فريد) ..

ـ لا .. أريد أن أعرف ما الأمر الآن .

قالت أمها محاولة تهدئة الموقف :

ـ اذهبى مع زوجك .. واعرفى هناك .. اسمعى كلامه .

أجابتها معترضة :

ـ لكن يا ماما ..

قاطعها أبوها :

ـ اسمعى كلام زوجك وأمك يا (نجلاء) واذهبى إلى بيتك .

ـ حسن ..

قامت منتفضة ووجهت كلامها لـ (فريد) :

ـ هيا بنا .

استأذنهم (فريد) فى الانصراف .

ـ تفضل يا بنى ..

سارت فى الشارع تكلم نفسها .. هذه الأرض بالذات لا .. إنها ليست له ليتنازل عنها ... كيف يتنازل عن شىء لا يملكه ؟! هل يظنها ميراثه الذى تركه لأخيه وأخته ؟

حاولت أن تتحدث معه ، لكنه لم يفتح الحديث حتى أجلسها ، وجلس أمامها .

عاجلته :

ـ (فريد) أى أرض تلك .

أجابها (فريد) بهدوء .

ـ اسمعى الحكاية أولاً ..

أجابته بصبر نافد :

ـ حسن كلى آذان صاغية ، احك .

ـ الرجل فى مشكلة ، وقد قصدنى لأحلها له ..

أجابته فى نبرة ساخرة :

ـ أى مشكلة تلك ؟

بدا أنه لم ينتبه للسخرية فى صوتها ..

ـ الأرض أساسًا ليست ملكًا له .

انتفضت واقفة فى غضب وهى تصيح :

ـ النصاب باع أرضًا لا يملكها ... سأدخله السجن ليعرف حق الله .

حاول (فريد) تهدئتها وجذبها لتجلس ثانية .

ـ تعالى يا (نجلاء) .. اجلس أمامى واسمعى كلامى بدون مقاطعة .. أعطنى فرصة لأشرح لك .. لا تسيئى الظن بالرجل .. لا تتسرعى فى حكمك ..

قالت وهى تحاول كتم غضبها المشتعل وصبرها النافد .

ـ حسن هأنذا قد سكتُ .. تكلم ، لن أفتح فمى بعد الآن ..

ـ كل مافى الأمر أن هذه الأرض ملك لأخيه ، وأنا أعلم ذلك من البداية ، فقد باعها لنا بتوكيل من أخيه ..

همت (نجلاء) بأن تقول شيئًا فقاطعها (فريد) قبل أن تتكلم :

ـ لا ، ليس بتوكيل مزور ولا منتهٍ .. التوكيل صحيح .. كل مافى الأمر أنه لم يأخذ رأى أخيه ، وقد رفض عندما عاد من سفره ، وغضب من أخيه غضبًا شديدًا ، وقد احتد كل منهما على الآخر ، ولولا ستر اللّه لتشابكا بالأيدى .. وهذا الأمر سيحدث قطيعة بينه وبين أخيه للأبد .. حتى إن الرجل ألغى التوكيل ، مع أن أخاه يدير أعماله منذ سنين ، وكل هذا بسبب قطعة الأرض ..

قالت (نجلاء) باستهزاء :

ـ يا سلام وأنت صدقت كلامه بهذه السهولة .

ـ ولما لا أصدقه ؟ ولماذا يكذب ؟

ـ حتى وإن كان لا يكذب ، مالنا نحن ومال مشاكله مع أخيه ؟ كان عليه أن يفكر فى الأمر قبل أن يبيع ـ لو أن للأمر هذه الأهمية عنده ـ وليس بعد أن اشترينا وبنينا السور وزرعنا وكدنا نبنى الفيلا بالفعل .

ـ اسمعينى فقط . لقد عرض الرجل إعادة ثمن الأرض وفوقه ثمن السور وأى تعويض نريده .

ـ أى تعويض ذلك الذى سنأخذه عن أحلامنا ؟

ـ كنت متأكدًا أنك لن تقبلى عوضًا .

ـ طبعًا ... فأنا أساسًا لن أترك الأرض .

ـ لو تسمعينني للنهاية فقط دوت مقاطعتى .. لقد عرض الرجل حلاً آخر .

ـ وما هذا الحل إن شاء اللّه ؟

ـ أن يعطينا قطعة أرض أخرى .. سيبحث عن قطعة أخرى لنشتريها ، مع تعهده ببناء السور ، ودفع فرق الثمن لو وجد .

ـ ولماذا لا يعطى قطعة الأرض تلك لأخيه ؟

قالتها فى عناد ..

ـ لأن أخاه يريد أرضه وحسب .

ـ أنا أيضًا أريد أرضى وحسب .

أكدت فى عناد أشد دفعه لتغير طريقته ..

ـ (نوجة) لا يرضيك أن تحدث قطيعة بين الرجل وأخيه .. كما أن رزقه سينقطع ، فقد كان يعيش على إدارة أعمال أخيه هذا .. ويرعى ماله وهو مسافر ..

لم تهتم كثيرًا بمحاولته لاسترضائها فقالت :

ـ مالنا نحن به وبأخيه .. ومالك أنت بهم .. هل هو أخوك الوحيد هو الآخر ... فى موضوع شقة أبيك التى أخذها (زهير) قلت إنه أخوك الوحيد .. لكن هذا الرجل .. ليس أخاك الوحيد .. وهذه ليست شقة أبيك ، إنها أرضى أنا ، وأنا حرة فى رأيى ..

قالت الكلمات الأخيرة وهى تضغط على حروفها بتأكيد قوى ..

ـ ما هذا الذى تقولينه يا (نجلاء) ؟

كان مندهشًا من أسلوب تفكيرها ..

ـ إن الناس للناس ، أتسخرين منى ؟ نعم هذا الرجل أخى .. كلنا إخوة يا (نجلاء) .. كما أنى وعدت الرجل بأنى سأكتب له تنازلاً بمجرد أن يجد لنا قطعة أرض تجاورها وتعجبنا ، وأظن هذا حلاً جيدًا .

ـ هكذا دون أن تأخذ رأيى !!؟

ـ لم أعتقد أن رأيك سيختلف عن رأيى .

ـ وماذا قال أبى ؟

ـ لم يعجبه الكلام ، لكنه قال إنه قرارنا نحن .. وهذا صحيح .

ـ نعم صحيح قرارنا معًا لكنك أخذته وحدك دون اعتبار لما أريده أنا ... أنا آسفة ، لا أوافق .

ـ لكن أعطيت كلمة .

ـ هذه ليست مشكلتى ..

ـ (نجلاء) فكرى جيدًا وراجعى نفسك قبل أن تقررى ..

سكت برهة قبل أن يضيف :

ـ سأتركك يومين لتفكرى .

لم تردّ (نجلاء) عليه ، كانت تعرف قرارها .. ماذا يعنى بترك الأرض ؟ ولماذا !!! لقد اعتقدت أن فى الأمر مشكلة قانونية ، أو أن الرجل سيذهب للسجن ، وليس أن المشكلة كلها أنّ أخاه سيقاطعه .

ضحكت فى نفسها باستخفاف .

أى عبث هذا ؟ مالى أنا بأخيه ؟ ألا يكفينى إخوة (فريد) حتى أحمل هم إخوة الآخرين كذلك ؟! لا أصدق .. كانت تعرف أن (فريد) غاضب من رد فعلها لكنه بالغ بشدة هذه المرة ... ذهبت تشكوه لوالدتها .

ـ هل يرضيك ما يريد (فريد) فعله ؟ لم أعد أتحمل أن يصنع بى شيئًا كهذا مرة ثانية ..

ـ لكن يا حبيبتى هو يريد أن يقف بجانب الرجل فى شدته .

ـ أية شدة تلك ؟ إنها مشكلته وليست مشكلتنا .

ـ يا حبيبتى وإذا كان فى يدينا حل المشكلة بالتراضى ؟

ـ لا يعنينى هذا الأمر .. لم أعد أريد الحياة مع (فريد) .. سأترك البيت ..

قالت الكلمتين الأخيرتين فى سرعة ورعونة .

ـ هل جننت ؟ هل ستتركين بيتك وتحطمين حياتك من أجل أمر تافه كهذا ؟!

ـ تافه .. تلك الأرض .. لقد وضعت عليها آمالى .. أنا أنام أحلم بها ، وأصحوا أحلم بها ، وبيتنا فيها .. أنت من تقولين هذا يا ماما وأنت تعرفين كم أنا متعلقة بقطعة الأرض هذه ، وكم كنت أحلم بمنزل صغير على البحر ... وما إن اقتربت من تحقيق حلمى حتى يحدث هذا .. لا أصدق .

ـ لكن يا حبيبتى بسهولة ستجدين أرضًا غيرها وتحققين حلمك ..

ربتت على كتفها بيدها الحنون وقالت .

ـ أريد الطلاق .

أبعدت أمها يدها عنها وكأنها مسها تيار كهربى ..

ـ (نجلاء) هل جننت .

أصبح صوتها أكثر جدية وقوة وهى تكمل :

ـ يبدو أنى سأخبر أباك .. طلاق !! لا تعيدى هذه الكلمة مرة أخرىً ..

يبدو أنى وأباك قد أفسدناكِ .. ويبدو أن زوجك هو الآخر دللك بشدة ... ألأن زوجك طبيب تركبين رأسك .

بعد هذه الكلمات القاسية التى سمعتها من أمها عادت لمنزلها وهى غاضبة لم ترد عليها ، كانت تعلم أنه لا جدوى من ذلك ، وأن أمها لن تغير رأيها ..

لكنها لم تهتم ، فليحدث ما يحدث ... لن أترك هذه الأرض أبدًا .. كلما تكلمت « زوجك طبيب » .. طبيب أو غير طبيب ، لا يعنينى ، وليست مشكلتى .. لا أصدق هذا .. لن يجبرنى أحد على تغيير رأيى وترك أرضى ..

سألغى توكيل (فريد) لو اقتضى الأمر ؛ كى لا يستطيع التصرف .. فكرت فى أسى .. دائمًا أمى فى صفه ، لا أدرى أمٌ من هى ؟ أمى أم أمه هو ؟ ألست أنا ابنتها ؟ لماذا لا تقف بجانبى أنا ؟ حتى أبى ، وأنا متأكدة أنه غير موافق على تصرف (فريد) الأخير .. فأنا أعرف رأيه سيكون منِ رأى أمى .. وإذا أخبرته بأنى أفكر فى الانفصال عن (فريد) فإنه سيعنفنى .. لم يعد الأمر يعنينى ، لقد اكتفيت من طيبته .

رن جرس التليفون مُقاطعًا لأفكارها .. تساءلت فى غضب : ترى من يتصل الآن .. سارعت برفع السماعة لتخلص من الرنين المزعج ..

- آلو ..

آلو .. أهلاً يا (نجلاء) ... أنا (سلوى) .

- أهلاً يا (سلوى) .

- (فريد) موجود ؟

- إنه نائم .. سأوقظه لكِ .

- لا لاداعى لإقلاقه .. فقط أخبريه أن (زهير) يدعوه على العشاء غدًا .. أنا و(محمد) سنذهب أيضًا .. لقد أراد (زهير) أن يتصل بنفسه لكنه مشغول فى الانتقال .. أنتِ تعرفين كم هو متعب ، النقل من شقة لشقة .

لم تكن (نجلاء) منتبهة وأرادت أن تتخلص من المكالمة بأى طريقة لكن يبدو أن (سلوى) لم تشاركنى نفس الإحساس ..

- أكيد ..

- لقد انتقل لشقة أبى ، أعتقد أن (فريد) أخبرك .

تريد توصيل المعلومة بأى طريقة .. فكرت (نجلاء) فى ضجر .. ترى هل أخبرها (فريد) برأيى ؟ تراجعت عن التفكير لتكمل المكالمة :

- بلى بالتأكيد أخبرنى .. لكن يبدو أنى نسيت ..

أكملت دون إحساس حقيقى :

- مبروك .

ـ فى التليفون لا ينفع ، يجب أن تأتيا وتباركا لـ (زهير) هناك فى شقة بابا .

ـ حسن يا (سلوى) سأبلغ (فريد) مع السلامة .

أغلقت السماعة قبل أن يتناهى لسمعها كلمة مع السلامة كاملة من (سلوى) .. كانت غاضبة ، وفكرت ها هى ذى تكتمل ، وعندما تذهب للعشاء .. تعود أخته لتلمح عن الإنجاب والأطفال .. لقد مللت من الأمر .. كلما حاولت أن أصفى قلبى من ناحيتها تعود لتصطنع المشاكل .. أخبرتْ (فريد) بمجرد أن استيقظ ونظرتْ له نظرة ذات معنى فأجابها فى تسامح وفهم .

ـ لا بأس إذا كنتِ لا تريدين المجىء فلا تأتى .

أجابته مستنكرة :

ـ ماذا .. هل تريد أن تظن (سلوى) أنى أخشاها ؟ سآتى طبعًا .. كى لا تعتقد أنها انتصرت علىّ .

بدت لعينيى (فريد) على غير طبيعتها ، فلم يُرد استثارتها أكثر وهى على هذه الحالة فأجابها فى هدوء :

ـ كما تريدين يا (نجلاء) .. افعلى ما تريدين .

★ ★ ★

كان العشاء كارثة بكل الوجوه ، واحتدت كل من (نجلاء) و(سلوى) على الأخرى أكثر من مرة ، دون أن تنجح أى محاولة ممن حولهما فى تلطيف الجو .. كانت (سلوى) فى شهورها الأخيرة ، لكن (نجلاء) لم تهتم لذلك إذ بدا أن (سلوى) ذاتها لم تلتفت لهذه الحقيقة عندما زاد الأمر وأصبحتا تتراشقان بكلام واضح .. أخذها زوجها على جانب ليهدئها ، وقام (فريد) ليأخذ (نجلاء) ..

ـ هيا بنا .

سألته فى عناد :

ـ لماذا ؟

ـ لقد تأخر الوقت هيا بنا .

بدا مصرًا فأجابته فى حدة :

ـ حسن يا (فريد) .. كما تحب .

ما إن اغلقا بـاب شـقة (زهـير) حتـى بـادرت (نجلاء) زوجها قائلة فى عنف :

ـ هذه آخر مرة أترك أختك تكلمنى بهذه اللهجـة .. لقد اكتفيت ، لن أدعهـا تلمح لموضوع الإنجاب هذا مرة ثانية .. إنها عديمة الإحساس و . والتهذيب و .. قاطعها (فريد) قبل أن تسترسل :

ـ كفى يا (نجلاء) .. هيا بنا نعد إلى البيت .

كانت نبرته قاطعة ، لكنها لم تخف (نجلاء) وإن كانت آثرت أن تسكت الآن لتكمل فى البيت .. فأجابتـه فى تهكم :

ـ حاضر .. حاضر يا سى (فريد) .. كما تأمر .

★ ★ ★



ـ ٨ ـ

ما إن دخلا المنزل حتى بدت بوادر الانفجار ..

ـ ألا تـريد أن تعـرف رأيى النهـائى فى موضـوع الأرض يا (فريد) ؟

ـ النهار له عيون .

ـ لا داعى للانتظار للصباح .. أختك تكلمنى فى كل وقت صباحًا .. ومسـاءً .. لا تفرق معها ، فلماذا تفـرق معى ؟

كانت تتحدث فى مرارة ، ولم تبدُ متمالكة لأعصابها ..

ـ إن أعصابك متعبـة الآن يا (نجلاء) ، ولا داعى للكلام .

ـ بل هناك دواعٍ .. إلى متـى سأسكت .. أعصابى متعبة .. نعم .. لكنْ ألا تريد أن تعرف لماذا ؟ مم هى متعبة .. من أفعالك وأقوالك .. لقد سئمت .. كل شىء .. تنازلات : حقك فى العمل .. حقك فى تركة أبيك .. أنـت حرّ .. اترك حقوقك كما تحب ـ لكن أنا لا ...

بدأ صوتها يرتفع تدريجيًا وهى تكمل :

ـ ليس من حقك أن تترك حقوقى لتُهدر أو أن تتنازل أنت عنها .. أختك تمزق أعصابى كلما رأتنى .. وأنا تعبت .. إنها تحملنى ذنوبًا لم أقترفها .. وأنت .. ساكت لا تتكلم ولا تدافع عنى .. قطعة الأرض .. قطعة الأرض التى طالما حلمت بها .. الشىء الذى أردته بشدة .. تريد أن تتنازل عنها ببساطة .. ولماذا .. الناس للناس .. آخر من يقبض الجمعية .. نتنازل عن حقوقنا والعذر الذى نعلق عليه كل شىء الناس للناس .. أتحمل أنا نظرة الناس من حولنا لنا .. إنها لا تقول : إنسان طيب ، لكن تقول متهاون .. مستسلم .. ضعيف ، هكذا يقول الناس .. ثم أى طيبة تلك التى تجعلنا نتنازل عن حقوقنا ؟ تترك رجلاً ربما يكون جاهلاً لا يعرف القراءة والكتابة يخدعك لغرض ما فى نفسه .. وتقول لى من أجل أخيه من أجل صلة الرحم !! أنت تراعى كل شىء .. وأنا لا أراعى شيئًا أليس كذلك ! أنت طيب وأنا شريرة .. لا إحساس لدى .. كفى .. كفاك وكفانى .. لقد اكتفيت .

بدأ جسدها فى الارتعاش ، وفقدت سيطرتها عليه ، فاقترب منها (فريد) ليهدئها ويجعلها تجلس ، لكنها كانت قد خرجت عن شعورها ، فأبعدت يديه وخرج الكلام مرتعشًا متقطعًا بين أنفاسها المتهدجة ، ودموعها التى كانت تتساقط دون أن تشعر ..

ـ اتركنى .. ابتعد عنى .. لم أعد أحتمل .. كفانا من هذا الأمر .. إذا كنت لا تستطيع حمايتى فاتركنى أحمى نفسى بنفسى .. أنا قادرة على أن أحافظ على أرضى .. لن أطلب مساعدتك ..

سكتت للحظة وابتسمت بهستيريا وهى تقول فى هذيان أكثر منه كلامًا :

ـ أعطيت كلمة .. أية كلمة تلك ؟ وأين كلمتك التى أعطيتها لى عندما اشتريت الأرض ..

ألم تقل إنها لى ؟

أكان هذا مجرد كلام .. بلا معنى حقيقى ؟

مع كل الناس تتنازل عن حقوقك ..

أما معى ..

أما معى أنا فتريدنى أن أتنازل عن كل حقوقى ..

بدأ صوتها يذهب وينخفض ، بُحّ صوتها دون أن تحاول التوقف عن الكلام .. كانت تتحدث وكأنها تخشى أن صمتت ألا تقوى على الكلام مرة ثانية أكملت دون أن تستريح للحظة :

ـ لقد جعلتنى أبدو وكأنى باحثة عن المشاكل .. كأنى عصبية وأنت .. هادئ .. كأنى محبة للشجار .. هل هذه طيبة .. أى طيبة تلك ؟ إنه استسلام وخوف .. بل .. بل هى سلبية .. لقد ولى زمن القديسين .. لا توجد ملائكة تسير على الأرض يا (فريد) .. أى ملائكية تلك فى عصر الشياطين ؟ هل هى طيبة حقًا أم تخاذل ؟ أجبنى .. أجبنى يا (فريد) ..

كان صوتها قد ذهب تمامًا مع آخر كلمة قالتها .. أحست أنها أنهت كل الكلام بداخلها ..

لم يرد .. تحمل كل ما قالته برزانة لم تكن تشفع له عندها .. راقبت وجهه المحتقن وعينيه المشتعلتين بالدماء ، دون أى تأثر .. وقف للحظة أمامها كأنه سيردّ ثم تراجع .. دخل حجرة المكتب وأغلقها عليه ، فكرت

فى سخرية .. وماذا فى ذلك ؟ هذا هو الرد الذى يملكه ؟ لملمت شتاتها ودخلت حجرة النوم وأغلقتها عليها .. فكرت فى نفسها ، فليحاول أن يأتى .. أمضت الليلة تتقلب .. لم يحاول (فريد) أن يأتى لحجرة النوم .. ترى هل نام بحجرة المكتب أم هو ساهر مثلى يفكر كما أفكر أنا فى الانفصال ؟ لم أعد أحتمل وجود (فريد) حولى ، إنه يظهر أسوأ ما فىّ .. يظهرنى شريرة متعنتة .. أحسن هكذا فكرت ، وفّر علىّ أن أترك المنزل الآن ، أو أن أخبره بأنى لم أعد أطيقه .. ظلت تتقلب على سريرها طوال الليل ، وكأنها تتقلب على جمر من نار حتى جاء الصباح .. ارتدت ملابسها وتركت حجرة النوم ليدخل ويبدل ملابسه .. بادرها بتحية الصباح .. ردت عليه بصوت خافت .. قالت لنفسها : على أى حال هو أكرم منى .. لم أعتقد أنه سيحيينى هذا الصباح ، وإن كانت تحيته جافة ليست كتحية كل صباح ، كان يقبلها على جبينها مستبشرًا بأنه استيقظ على وجهها .. كان يقول دائمًا إنها وجه خير عليه .. عادت تؤنب نفسها .. مالى وتحية الصباح هذه .. خرجا معًا للعمل .. ليس ككل يوم .. كانت تشعر بالاختلاف .. فكرت فى عناد

لكنى لا أهتم .. يجب وضع حد لكل هذا على أى حال .. دخلا المكتب فى موعدهما ، ومع ذلك كان هناك خبر بأن المدير يطلب (فريد) على وجه السرعة .. ذهب (فريد) ، وانشغل فكر (نجلاء) ترى فيم يريده ؟ لم تمر دقائق حتى سمعت صوت المدير يرتفع .. بدا وكأنه يتشاجر مع (فريد) .. لم تتبين ما هو موضوع الحديث ، لكنها سمعت بعض الكلمات المتناثرة مثل .. أنت دائمًا هكذا تتنازل عن حقك .. يجب أن تحارب قليلاً .. أين طموحك ؟ لأول مرة تسمع (نجلاء) المدير يرفع صوته مع (فريد) فهى تعلم أن بينهما علاقة صداقة وودّ .. استغربت الأمر دون أن تستطيع سؤاله عندما عاد ، وكيف تفعل بعد كل ما قالته له بالأمس .. لكنها أحست ببعض الرضا .. فها هو ذا المدير يقول نفس ما قالته هى .. إذن أنا لم أخطئ فى حق (فريد) .. هكذا خطر ببالها .. ربما كانت كلماتى قاسية ، لكنها كانت لإفاقته .. كان (فريد) هادئًا لا يبدو شىء على وجهه ، فقط نظرة غريبة فى عينيه .. ترى ماذا فى الأمر ؟ على أى حال كانت متأكدة أنها ستعرف فى النهاية .. وبينما

هى غارقة فى تكهنات ، دخل المدير وتوجه لـ (فريد) مباشرة قائلاً :

ـ ألم تقل إنك ستذهب فى المأمورية .

ـ نعم يا فندم .

ـ إذن اذهب وجهز نفسك ، أريد أن تكون على مكتبك هناك صباحًا ، ثم التفت المدير لـ (نجلاء) وأشار لـ (فريد) وهو يكمل :

ـ لو أردت خذ (نجلاء) معك لتحضر لك حقيبتك .. سأعطيها إذنًا لباقى اليوم ، هيا اذهب .

قام (فريد) ولحقته (نجلاء) وهى تسأل نفسها : أى مأمورية تلك يا ترى ؟ عندما عادا للمنزل لم يدعها (فريد) تجهز أى شىء ، وضع ملابسه فى الحقيبة ثم أخبرها أنه سيغيب شهرًا .. فكرت (نجلاء) فى نفسها بدهشة .. يا إلهى !! شهرًا بأكمله ؟ اعتقدت أنه سيسافر ليومين أو أسبوع ، لكن شهر ! على أى حال لا يهمنى ، إنها فرصة لنفكر بصورة أفضل ، ونقرر كيف ستسير حياتنا فيما بعد .. استودعها الله

ومضى .. أرادت أن تذهب معه إلى محطة القطار أو الأتوبيس أيًا كان ما سيركبه ، لكن الجرأة لم تواتها .. أين قال إنه سيذهب .. خبطت جبهتها محاولة التذكر . أى فرع من فروع الشركة ؟ لم تعد تذكر ..

جلستْ فى الشقة لا تدرى ماذا تفعل .. دارت حول نفسها ، فكرت .. ليتنى بقيت فى العمل .. لا يهم .. دخلت تُبدل ملابسها .. أخرجت كتابًا لتقرأه لكنها لم تكن فى وضع يسمح لها بالتركيز فى القراءة .. تركت الكتاب وأدارت التليفزيون ، ضغطت على أزرار جميع القنوات دون أن يلفت نظرها شىء .. أبقت المؤشر على إحدى القنوات ، وجلستْ لتشاهد برنامجًا ما .. سقطت نائمة دون أن تشعر ، عندما استيقظت عرفت أنها كان لابد أن تتوقع هذا ، بعد سهرها وعدم نومها الليلة الماضية شعرت بجسدها مضعضعًا من النوم على الأريكة .. أطفأت التلفزيون .. ولم تدر ماذا تفعل .. شعرت بالعطش الشديد .. فتحت الثلاجة .. تذكرت أنها لم تأكل أى شىء طوال اليوم .. لكنها لم تكن تشعر بالجوع .. التقطت ثمرة فاكهة .. أدارت

التسجيل لتسمع موسيقى هادئة .. فكرت (فريد) يحب هذه القطعة كثيرًا ، أفاقت لتؤنب نفسها ، مالى وما يحبه (فريد) !! عادت تفكر .. ولكن كيف أن (فريد) هو من علمنى حب الموسيقى .. أرقت .. فكرت .. لم يكن من المفترض أن أنام كل هذا الوقت ظهرًا .. ترى هل أخطأت فى الحكم على (فريد) ؟ استغرقت فى النوم وهذا التساؤل يعصف برأسها فى كوابيس مختلفة ..

استيقظت رغمًا عنها على رنين المنبه .. كانت فى حالة يرثى لها ، غارقة فى العرق .. أخذت حمامًا سريعًا ونزلت .. كانت منشغلة بأن لديها عملاً معطلاً من الأمس .. استغرقت فى العمل ، لكن شيئًا فشيئًا سرحت بعقلها ، تجنبت النظر لمكتبه الفارغ ، فى نهاية اليوم قامت لتعود .. وحدها .. ركبت دون أن تدرى .. عادت للمنزل وأغلقت الباب بالمفتاح عليها .. تعجبت من نفسها .. لم تفعل ذلك من قبل .. استلقت على السرير بملابسها .. وماذا بعد ؟ فكرت فى قلق : لا بد أن أحزم أمرى قبل أن يعود .. كلانا يعلم هذا .. هذا

الزمن الذى نعيشه ، هل يوجد فيه ما يسمى إنسانًا طيبًا .. لم تكن لتكذب على نفسها ، كانت تعرف أنه لوجد هذا الإنسان لكان .. (فريد) .

إنه لا يتصور أى سوء .. لا يتصور أن هناك من يحمل نوايا سيئة تجاهه .. لا يضر أحدًا .. هل (فريد) طيب ؟لم تعرف .. فكرت فقط لو ظللت أكلم نفسى هكذا سأجنّ .. فكرت أنه من الأفضل أن أنزل لزيارة أمى ..

بينما هى تدخل من الباب ، وقفت (زهراء) تتطلع وراءها ..

ـ أين (فريد) ؟ لماذا لم يأت معك ؟ غريبة جدًا .

قالت كلماتها بسرعة دون أن تترك لأختها فرصة فى الرد .. تركتها (نجلاء) حتى انتهت ، وأجابتها بنبرة حادة :

ـ ممكن أدخل يا (زهرة) ، أم أنى ممنوعة من الدخول إلا لو كان (فريد) معى ؟

لم تكن تمزح .. معها بقدر ما هى جادة .. فقد كانت (زهراء) تقف فى طريقها فعلاً .. لكنها أفسحت لها ضاحكة وهى تقول :

ـ أبدًا .. ادخلى يا مدام .. أنا فقط أسأل عنه ، أين هو ؟

لم تكن مهيأة لتبادلها المزاح ، فتجاهلت سؤالها وقالت :

ـ أين ماما ؟

ـ فى مكانها المعتاد .. المطبخ .

دخلت لوالدتها فبادرتها :

ـ تعالى ، مؤكد أن حماتك كانت ستحبك ، كما أحب أنا (فريد) .. لقد صنعت طعامًا ستأكلان أصابعكما وراءه .

ـ (فريد) لم يأت معى .

شعرت بالخيبة لأن أمها أيضًا تتحدث كـ (زهراء) ..

ـ لماذا ؟ خير إن شاء الله .

ـ لقد سافر فى مأمورية .

سألتها أمها للتأكد :

- سافر فى عمل ؟

- نعم ..

- يعود بالسلامة .. غريبة أنكم لم تذكروا هذا الأمر من قبل .

اكتنف صوتَ أمها قليل من القلق فسارعت تطمئنها :

- جاء الأمر مفاجأة .

عندما جلست على مائدة الغداء سألها أبوها عن (فريد) فكرت فى ألم .. جاء الدور على أبى ليسأل نفس السؤال ، لم تعد تدرى ما بالهم ، هل هى ابنتهم أم هو ؟ أبوها يريد أن يخبره عن موضوع ما تحدثوا فيه من قبل ، وأمها تريد أن تأخذ رأيه وتستشيره فى شراء جهاز رياضى ، و (زهراء) تريد أن تسأله فى مسألة ما .. شعرت بأنها غريبة عن المنزل ، وزاد من غربتها أن (فريد) كان الموضوع الأساسى للكلام ..

ألحَت أمها عليها لتقضى الليلة معهم وافقت رغمًا عنها .. استلقت على سريرها القديم .. استلقت (زهراء) على سريرها فى مواجهتها .

- ماذا هناك ؟ هل أوحشك لهذه الدرجة ؟

لم ترد عليها ، فقط فكرت هل أوحشها حقًا .. هل هذا ما فى الأمر .. لا يمكن .. فكرت بارتباك .. لم يكد يمر على سفره يومان .. عادت تقول لنفسها : لا أبدًا .. كل ما فى الموضوع أنى مشغولة بالتفكير .. إن حياتنا تحتاج لوقفة .. حمدًا لله على أننا لم نرزق بأطفال .. انتبهت لنفسها ، فُجعت من تفكيرها هذا .. لا أصدق نفسى .. الحمد لله على كل شىء ، لكن هل حقًا أنا سعيدة بأننا لم نرزق بأطفال بعد ؟ ربما لو رزقنا .. ربما ماذا ؟!! هل كان رأيى فى (فريد) سيتغير ؟ نامت .. خطر ببالها وهى تصحو أنه الشىء الوحيد الذى تنجح فيه هذه الأيام .. النوم .. ألحت عليها والدتها لتفطر .. وصمم أبوها على أن تأخذ ساندوتشات ..

- لم أعد طفلة ..

لم تعرف أن أفكارها وصلت للسانها بصوت مسموع ، إلا عندما علقت أمها .

- هيا .. كى لا يقول (فريد) إننا لم نطعمك فى غيابه .

كانت تمزح ولا شك ، لكنها لم تكن مستعدة لهذا النوع من المزاح ..

خرجت وتدافعت الدموع لعينيها .. تساءلت فى نفسها : ما بالى ؟ كيف أصبحت هشة بهذا الشكل ؟! لم تعهد نفسها سهلة التأثر لهذه الدرجة ..

مسحت دموعها .. لا يعقل أن أسير فى الشارع أبكى .. تأخرت ـ ركبت تاكسيًا لتحاول الوصول فى موعدها .. عندما دخلت لم يعلق أحد على تأخرها ، كانوا يتحدثون عن (فريد) وجهوا سؤالهم لها مباشرة :

ـ لماذا قبل هذه المأمورية بالذات ؟

ـ ولم لا ؟

ـ دائمًا ما كان يرفض السفر .. ماذا حدث ؟

ـ لا أدرى .

أنهت الحديث .. لا يمكن .. فى كل مكان تذهب إليه يدور الحديث عن (فريد) .. ترى كيف هو

هناك ؟ بالتأكيد لا أحد يكلمه عنى .. قطعًا سيكون ذهنه أكثر صفاءً منىَ .. هنا قالت لنفسها : ولمَ لا ؟ هو دائمًا كذلك ، ذو ذهن أكثر صفاءً منى .. هادئ .. يستطيع أن يفكر فى الأمور بروية ..

عندما انتهى وقت العمل قررت بحزم ألا أعود لمنزل أبى ..

دخلت بيتها وهى تشعر بالضعف .. هل سأمرض ؟ كان هذا أول ما خطر ببالها .. يبدو أنى على وشك الدخول فى دور برد قوى .. تذكرت أنها لم تأكل أى شىء .. أخرجت السندوتشات التى أعدها أبوها وأكلتها .. لم تشعر بأى طعم للطعام فى فمها .. ماذا هناك ؟ ملكتها الحيرة من نفسها .. وهو معى أفكر مليًا فى الانفصال ، وما إن يسافر حتى أشعر بأنى أفتقده .. ربما لأنى لم أعتد على النوم وحدى بهذه الشقة ، أو حتى الجلوس بها وحدى ، فهو كان دائمًا معى ، فى العمل وفى البيت .. بررت لنفسها هذا الشعور دون اقتناع كامل .. لقد سألته يومًا : ألا يدفعه تواجده المستمر معها للشعور بالملل ؟ لم تستطع إلا أن تذكر كيف بدا وجهه مشرقًا وهو يجيبها :

ـ إن ذلك يشعرنى براحة النفس والسعادة .

مجامل دائمًا أنت يا (فريد) .. لا بل إنك لا تشعر بأنها مجاملة .. إنما كلمة صادقة من قلب صادق ... لكنى كنت أرى غير ذلك .. أرى أننا نحتاج لتغيير ما فى حياتنا ..

وها هو ذا التغيير قد جاء ، ومع ذلك لا يعجبنى .. فكرت فى دهشة ، هل الخطأ منى ؟ هل أنا من لا يُعجبنى شىء .. ربما .. فالكل يحسدنى على (فريد) : أخلاقه .. ذوقه .. هدوؤه .. وقبل كل ذلك وبعده طيبته .. ربما أنا لا أستحقه .. وهذا هو الموضوع !!

ذهبت للعمل ، وشعرت بأنها دائرة مغلقة ، تلك التى أوقعت نفسها فيها ، عادوا يتكلمون عن (فريد) ..

ـ هل سيمسك رئاسة الفرع هناك ؟

ـ ماذا !!!

تعجبتْ فعلاً .. لأول مرة تسمع هذا الأمر ..

ـ كأنها لا تعلم ..

كانت نبرة عدم التصديق واضحة فى كلامهم ..

ـ أنا لا أعلم حقيقة عم تتكلمون ..

ـ عن رئاسة الفرع التى يرفضها (فريد) كل مرة .

لم ترد .. نظرت لمكتبه الخالى بدهشة شديدة .. أول مرة أعرف أن (فريد) أخفى عنى شيئًا .. لماذا كان يرفض الترقية ؟

جاءت (سامية) بجانبها وهى ساهمة تفكر وقالت لها :

ـ ماذا ؟ أأوحشك لهذه الدرجة ؟! أفتقدته بهذه السرعة ؟ آه من الحب !! وتنهدت بصورة جعلت (نجلاء) ترتجف ..

ـ ماذا تريدين يا سامية ؟

ـ ألا تعلمين حقًا ؟ لقد ظننا أنك من ترفض السفر . كلنا نعرف ارتباطك بعائلتك .

ـ (سامية) من فضلك اتركينى ، فأنا متعبة ..

عاد مكتبه الخالى يأخذ ببصرها .. كانت تعتقد أنها

لا تهتم لوجوده ، فلم تكن تطيل النظر إليه ، ولا هو كذلك .. كل منهم منهمك فى عمله .. أدركتْ الآن أنها كانت كذلك ؛ لأنها تعرف أنه موجود .. لم تعد تحتمل جوّ المكتب .. خرجت وعادت للمنزل .. أغلقت الباب وراءها بالمفتاح والمزلاج كذلك ، وأحكمت إغلاق النوافذ .. شعرت بملل شديد ووخم .. أخرجت قطعة من القماش ومجلة للتفصيل .. هناك (بترون) أرادت تفصيله منذ مدة .. فردَت (الباترون) والورق وبدأت الرسم .. تركته على مائدة الطعام قائلة : سأكمله فيما بعد .. دخلت المطبخ لتصنع كوب شاى .. فوجدت بقايا طعام وبعض الأطباق تحتاج إلى تنظيف ، ولِم ؟ قضت بقية اليوم تنظف المطبخ .. أصبح يبرق من النظافة .. لم أنظف البيت منذ سافر (فريد) .. فكرت فى غضب .. دخلت تنام وهى تشعر بالإجهاد ، فنامت باستغراق شديد .. صحت على رنين المنبه ، وعادت تذهب للعمل ، شعرت بالأمر ثقيلاً على نفسها .. أحست بالمرض ، وكل من حولها قال : إنها أصبحت مجهدة ذابلة .. نصحوها بإجازة ... قررت قبولها لتهرب من تساؤلهم عن أخباره التى لا تعرف عنها شيئًا .. ومن

شكل مكتبه الخالى .. ومن اضطرارها إلى أن تصحو كل يوم للذهاب إلى العمل ..

وهى فى شقتها نظرت إلى الثلاجة الفارغة بلا اهتمام .. كيف نسيت إحضار طعام ؟ لا بأس ، غدًا أنزل وأحضر أى شىء .. قررت تنظيف الصالة .. وعندما انتهت شعرتْ بتعب حقيقى .. يجب أن أرتاح فى السرير .. ما كادت تستلقى حتى رن جرس الباب ، شعرت بجسدها مضعضعًا وأنها لا تستطيع الوقوف .. فكرت فى تجاهله لكن الجرس كان مُلحًا .. تحاملت على نفسها وذهبت لتفتح .. كانت (زهراء) ..

ـ لماذا لم تفتحى بالمفتاح يا (زهرة) ؟

قالت لها بوهن :

ـ حاولت لكنه لم يفتح ..

تذكرت المزلاج .

ـ ادخلى يا (زهرة) .

ـ مالك يا (نوجة) ؟

دخلت (نجلاء) واستلقت على السرير دون أن ترد ..

ـ كأنك لم تأكلى منذ سنة .. ماما قلقة عليك ،لذلك أرسلتنى أطمئن عليك .

دخلت حجرة النوم ..

ـ ما هذا يا (نجلاء) ؟ مطبخك أنظف من الصينى المغسول .. لا شىء فيه .

ـ انزلى يا (زهرة) واشترى لبنًا وبيضًا وجبنًا ..

ـ حاضر .. أنا جئت فعلاً لإنقاذك .. عمومًا أنا نفسى أشعر بالجوع ..

نادتها (نجلاء) وهى تتجه للباب الخارجى :

ـ أغلقى خلفك بالمفتاح جيدًا .

ـ لماذا ؟ حاضر ..

سمعت صوت الباب يُفتح ، بعد وقت خيل لها أنه قصير جدًا .

صرخت (نجلاء) :

ـ من ؟

ـ أنا يا (نجلاء) من سيكون غيرى ؟

سمعت صوتها بالخارج تحضر أشياء ..

ـ هل تريدين هذا الباترون على المائدة ؟

ـ أحضرى الأكل هنا يا (زهرة) ..

ـ حاضر .. كوب لبن دافئ ، وبيض مقلى فى الزبد ، وجبن من كل صنف ، والتوصيل حتى السرير ..

ـ تسلم يدك يا (زهرة) .

قامت تعتدل جالسة لتأكل ..

ـ أنا آكل وحدى يا (نجلاء) ..

ـ يكفينى هذا .. شبعت ، فقط هاتى اللبن .

ـ كما تريدين .. عمومًا الأكل فى الثلاجة .. هل أنت بخير ؟

ـ نعم .. عودى كى لا تقلق ماما عليك ..

ـ لو تريدين أن أبقى معك الليلة ..

ـ لا تشغلى بالك ، أنا بخير .. فقط يبدو أنى أصبت بالبرد .

ـ عمومًا سآتى غدًا للاطمئنان عليك ..

ـ لا تشغلى نفسك .. إن وراءك مذاكرة .

ـ لا مشكلة .. سآتى أنا أو ماما ، فلا يمكن أن نتركك بهذه الحالة .

ـ أية حالة .. لا تشغلى ماما بسببى يا (زهرة) ، أنا بخير .. أحتاج لأن أنام جيدًا وحسب .

عندما خرجت (زهراء) .. استسلمت (نجلاء) للبكاء .. كيف أصبحت بهذا الضعف ؟

فكرت (نجلاء) فى غضب .. فى الصباح .. وضعت طعام الإفطار ، أكلتْ ، ثم بدأت فى قص (الباترون) .. قصته وسرَّجت الفستان .. مرت عليها (زهراء) وقالت لها :

ـ شكلك أحسن اليوم .

ـ حمدًا لله .

رفعت الفستان لتريه لـ (زهراء) ..

ـ ما رأيك فى صنع يدى ؟

ـ جميل .. أحضرت لك طعامًا لتضعيه فى الثلاجة .. ماذا أعددت للغداء ؟

ـ لا شىء .. أكلت جبنًا وبيضًا .

ـ لا ينفع هذا الأكل .

ـ تتكلمين كماما بالضبط .

أحضرت (زهراء) طعام الغداء ، وجلستا تأكلان .. بعد أن انتهيا قالت (نجلاء) :

ـ خذى الفستان معك لماما لتخيطه بالمكينة وتفرغى لمذاكرتك .. بعد أن ودعت (زهراء) شعرت بأن صحتَها أفضل .. لذلك قررت أن تُكمل تنظيف البيت .. ولِم لا ؟ ثم فكرت .. كم يومًا مرَّت ؟ أسبوع .. مر أسبوع فقط .. وكأنه شهر ، بل سنة ..

أين هو (فريد) ؟ لم تعد لى أية شهية للطعام .. كان (فريد) يفتح شهيتى للأكل .. أنا حتى لا أرى دافعًا لإعداد الطعام ...

ترى هل أذهب لأمى ؟ لا أستطيع .. شعور بالغربة يُحيطنى هناك ، وسؤالهم عن (فريد) وهى لا أخبار لديها عنه .. قطعًا سيستبد بهم الفضول لأنه لم يتصل أو يرسل أى خبر عنه .. وسيكون كل حديثهم عنه .. (فريد) قال كذا .. رأيه سيكون كذا .. وسيرغموننى على الأكل وأنا لا شهية لى .. رأيت أنه من الأفضل أن أبقى هنا .

★ ★ ★



- ٩ -

عادت تشعر بالتعب .. لم تعهد نفسها ضعيفة بهذا الشكل .. أعادت التأكد من إغلاق الأبواب والنوافذ .. أسبوع وأشعر بكل هذا الوهن ؟! كيف سأكون بعد مرور الشهر ؟! أهكذا أنهار !!

ترى أين أنت يا (فريد) ؟ الآن أشعر كم ظلمتك .. هل كل ما يحدث لى بسبب أنى افتريت عليك ؟

آه يا (فريد) .. لم أكن أدرى أنى أحبك بهذا القدر .. كيف هان علىّ أن أجرحك وأنت لم تجرحنى أبدًا ولو بكلمة واحدة ؟! كيف طاوعنى لسانى لأتهمك بكل هذه الاتهامات الفظيعة .. كل هذا لأنك تفضل الآخرين على نفسك ؟!

كانت الدموع تتساقط من عينيها دون أن ترفع يدها لمسحها أو تحاول إيقافها ..

يبدو أنى بعد كل هذا الوقت لنا معًا لم أفهمك حقًا .. أو أقدّرك حق قدرك .. كيف شككت فى أن طيبتك ضعف ؟

أو أن اهتمامك بالآخرين وحفاظك على مشاعرهم جبن ؟ أو أن قبولك أن تتنازل قليلاً كى تسعد الآخرين كثيرًا هو استسلام .. أين أنت يا (فريد) لاعتذر لك ... يبدو أنى أضعتك هذه المرة للأبد .. أيعقل أنه قبل النقل والترقية ؟ لم يخبرنى أبدًا أنهم عرضوا عليه السفر ، فقط ليراعى مشاعرى .. لن يعود (فريد) ثانية أبدًا بعد ما قلته له .. لن يغفرلى افترائى عليه .. ليتنى لم أنطق .. ليتنى أعملت عقلى قليلاً .. كل هذا من أجل قطعة أرض .. مَن الأغلى (فريد) أم قطعة الأرض اللعينة تلك ؟ (فريد) .. أنت أغلى عندى من كل شىء على ظهر الدنيا ، من شقة أو قطعة أرض ... بالتأكيد (فريد) أغلى ، ولكن أين هو ليسمعنى .. أين أنت يا (فريد) .. ترى هل قررت تركى ؟! هل قررت أنك لن تستطيع الاستمرار مع إنسانة أنانية مثلى ؟ لا يا (فريد) أرجوك ... عُد .. عُد وسأعوضك عن كل ما قلت .. هل أنا أهذى .. فكرت (نجلاء) فى ضعف : هل أنا محمومة ؟ لابد أنى أُصبت بحمى .. أو مرض .. شعرت ببرد فظيع يغمرها ، وارتجفت بشدة .. تحاملت على نفسها لتقوم .. أعادت التأكد من إغلاق البيت ..

للمرة الـ ... لم تعد تدرى .. سحبت غطاءً ثقيلاً .. وما إن جلست على السرير حتى شعرت بأن الحجرة تدور بها .. أفاقت بعد ذلك وأحست بالعرق يغمرها وبحلقها جافًا .. حاولت القيام لتشرب ، فعادت الدنيا تدور بها ... بعد قليل أو كثير لا تدرى استطاعت تناول بعض الماء .. فقدت شعورها بالزمن ، وعادت تغرق فى النوم .. سمعت أصواتًا فى الخارج ، دقات وفرقعة تراءت لها كأنها حلم .. حاولت أن تقوم لكنها لم تستطع .. هل سمعت صوت (فريد) ؟ هل سمعت من يُنادى باسمها ؟ لابد أنها تحلم ... أفاقت فجأة لتجد (فريد) نائمًا على كرسى بجانبها ..

هل مازلت أحلم ؟ فكرت فى ضعف .. حاولت أن تناديه لكنها لم تستطع ..

عادت تغرق فى غيبوبتها ..

صحت مرة ثانية ، لتجد محلولاً معلقًا فى يدها .. هل حدثها (فريد) ؟

لم تسمعه بوضوح ، بدا كأنه يطمئنها .. عادت تنام ..

صحت بعدها لتجد (فريد) نائمًـــا .. شــعرت بأنهـــا أحسن ، وتأكدت أنه موجود بالفعل وليس حلمًـا .. لم توقظه فضلت أن تتركه نائمًا ..

أيقظها (فريد) لتأكل ..

ـ هل هـذا كـلام يا حبيبتى .. كيف وصـلت لهـذا الحال من الإجهاد .. كم يومًا وأنـت لا تـأكلين ؟ كيف هانت عليك نفسك ؟!

كان الألم يملأ صوته ..

ـ لم آكل ؟ أبدًا كيف هذا ؟

ـ كيف هان عليك طفلنــا يا (نجلاء) ؟ لقد كدت تفقدينه لولا عناية اللّه ..

ما ذنبه فى كل هذا ؟

اتسعت عيناها دهشة :

ـ أى طفل !!

ـ أنت حامل يا حبيبتى ..

انتقلت دهشتها إليه وهو يكمل متعجبًا :

ـ ألا تعرفين ؟!

تعجبت (نجلاء) كثيرًا .. كيف لم تعرف ؟!

وكيف لم تلحظ أنها لم تتناول طعامًا ؟!

لولا أن (فريد) عـاد .. لـم تستطع أن تتنبأ مـاذا كان سيحدث وقتها ...

حمدًا للّه على أنـه أراد أن يـأتى ليُطمئننـى عليـه ، وليطمئن علىّ .. لولا ذلـك ... لا يـدرى إلا اللّـه مـاذا كان سيلحق بى ساعتها ..

ـ (فريد) أنا آسفة .. لقد أخطأت و ..

قاطعها (فريد) :

ـ لا تعتذرى يا (نجلاء) .. أنا أُقدر أنه كان مجرد انفعال طارئ .. فقط أخبرينى بعد ذلك إذا ضايقك شىء ، ودعينا نتكلم فى الأمر ونناقشه ، دعينى أشرح لك .

أجابته فى خجل :

- (فريد) لقد عرفت خطئى وأدركته ، ولن أكرره .

أجابها مبتسمًا :

- وهذا أجمل ما فيكِ يا (نجلاء) .. عقلك الواعى .

آه يا (فريد) .. حتى وأنا المُخطئة لا تحرمنى معسول حديثك ...

عرفت كم أحبك .. ولِمَ أحبك ..

أحبك لأنك طيب يا (فريد) .

★ ★ ★

وهما يقفان أمام الأرض الجديدة التى اشترياها ، يراقبان عمال البناء وهم يضعون أساس الفيلا .. و (فريد) يحيط كتيفيها بذراعه .. مدَّت يدها تتحسس طفلها النامى فى داخل رحمها ...

حمدت اللَّه وشكرته على أن (فريد) عاد فى الوقت المناسب .. جاء لحظة ذهبت فى الغيبوبة ليُعيدها إلى رشدها .

(تمت)

زهور
سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

سلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
الأم حرجا من وجودها بالمنزل



منى محمد أحمد منصور

سحابة صيف

لم تكن (نجلاء) تتخيل أن غياب (فريد) سيؤثر فيها كل هذا التأثير ... فهى من تمنّت أن يذهب ... وما إن ذهب .. حتى شعرت بأن الأمن غادرها معه .. تساءلت فى نفسها .. تُرى هل أخطأت فى الحكم عليه ؟!

81

مطابع

الثمن فى مصر قرش جنيه ٢,٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر دول العالم